أخبار أبي العتاهية

اسمه ولقبه وكنيته

وهو إسماعيل بن القاسم بن سُوَيد بن كَيْسان ، مولى عَنَزة . وكُنيته أبو إسحاق . وأُمه أُم زَيد بنت زِياد ، مولى بنى زُهرة . وأبو العتاهية لقبٌ غَلب عليه . وفيه يقول أبو قابوس النَّصرانىّ ، وقد بَلغه أنّه فَضّل عليه العَتَّابى :

قل للمُكَنِّى نفسَه ... مُتخيِّرًا بعتاهِيَهْ
والمُرسلِ الكَلِمِ القَبيـ ... ـح وَعتْه أُذْنٌ واعِيه
فعليكَ لعنةُ ذى الجَلا ... لِ وأُمُّ زَيد زانِيه

نشأته ومنزلته فى الشعر وشىء عنه

ومنشؤه بالكوفة . وكان فى أوّل أمره يتخنَّث ويَحمل زاملة المُخنَّثين . ثم كان يَبيع الفَخّار بالكُوفة . ثم قال الشعر ، فبَرع فيه وتقدَّم .

ويقال : أطبع الناس بشّار ، والسيِّد الحِمْيرىّ ، وأبو العتاهية . وما قَدَر أحدٌ قطُّ على جَمع شعر هؤلاء الثلاثة بأسره لكثرته . وكان أبو العتاهية مع ذلك كثيرَ السَّقط والمَرذول ، وأكثر شعره فى الزُّهد والأمثال . ونُسب مع ذلك إلى الزَّندقة وإنكار البَعث . وكان أبخل النَّاس مع يَسارِه وكثرةِ ما جمعه من الأموال .

أبوه وشعره فيه

وقد قيل : إنّ أباه كان حجَّاماً ، وفى ذلك يقول أبو العتاهية :

أَلَا إنما التَّقْوى هو العِزُّ والكَرَمْ ... وحُبُّك للدُّنيا هو الفَقر[1] والنَّدَمْ
وليستْ على عبدٍ تَقِيٍّ نَقيصةٌ ... إذا صَحَّح التّقوى وإن حاكَ أو حَجم

عقيدته وما كان بينه وبين ثمامة فى حضرة المأمون

وقد قيل : إنه كانَ يتشيَّع ويرى رأى الزَّيدية والبَتَرية[2] ، لا يتنقّص أحداً

(١) فى بعض أصول الأغانى : « والعدم » مكان و « الندم » .

(٢) الزيدية : فرقة نسبت إلى زيد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب رضى الله عنه ، تقصر الإمامة على أولاد فاطمة ، ولا تجيز الإمامة فى غيرهم . والبترية : طائفة منهم ، أصحاب كثير الأبتر . توقفوا فى أمر عثمان ، أهو مؤمن أم كافر ، وفضلوا علياً على جميع الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ولا يرى الخروج على السُّلطان . وكان جَبَرِيًّا[1] . فذُكر أنه قال أبو العتاهية لثمامة بن أَشرس بين يدى المأمون ، وكان كثيراً ما يعارضه فى الإجبار : أسألك عن مسألة ؟ فقال المأمون : عليك شِعْرَك . فقال : إن رأى أمير المؤمنين أن يأذنَ لى فى مسألته و يأمرَه بإجابتى ! فقال : أجبه إذا سألك . فقال له : أنا أقول : كُلُّ ما فعله العِباد من خير وشرٍّ فهو من الله ، وأنت تأبى ذلك ، فمن حرَّك يدى هذه ؟ وجعل أبو العتاهية يُحَرِّكها . فقال له ثمامة : حَرَّكها من أُمه زانية . فقال : شَتمنى والله يا أمير المؤمنين . فقال ثُمامة : ناقَض الماصُّ بظر أُمه والله يا أمير المؤمنين ! فضحك المأمون وقال : ألم آمُرْك أن تشتغل بشعرك وتَدع ماليس من عَملك . قال ثُمامة : فلقينى بعد ذلك فقال : ما أغناك الجوابُ عن السَّفه ؟ فقلت : إنّ مِن أتمّ الكلام ما قَطع الحُجة ، وعاقَب على الإساءة ، وشَفى من الغَيظ ، وانتصر من الجاهل .

لبعضهم فيه حين أخذ نفسه بالحجامة

وقيل : إنه لما نَسك وتزهّد أخذ نفسه بحجامة اليَتامى والفُقراء للسبيل ، وقال : إنّ غرضه بذلك التواضُع . فقال بعضُهم : ألم يكن يَبيع الجِرَار ! فقيل له : بلى . فقال : أمَا فى بَيع الجِرار من الذُّل ما يَكفيه و يَستغنى به عن الحجامة !

من وصفه وشىء عن صناعته

وقيل : كان أبو العتاهية قَضِيفاً[2] أبيض اللَّون أسود الشعر ، له وَفْرة جَعْدة وهَيئة حَسنة وحَصافة ولباقة ، وكان له عَبيد من السُّودان ، ولأخيه زيد أيضاً عَبيد منهم يَعملون الخزف فى أتُّون لهم ، فإذا اجتمع منه شىء ألقَوْه على أَجير لهم يقال له : أبو عبّاد اليَزيدى ، كُوفىّ ، فيبيعه على يديه و يَردّ فضله إليهم .

رأى مصعب فى شعره

وحُكى عن مصعب بن عبد الله الزُّبيرى أنه قال : أبو العتاهية أشعرُ الناس . فقيل له : بأىّ شىء اُستحقّ ذلك عندك ؟ فقال : بقوله :

---

(١) الجبرى ، بالتحريك : المنسوب إلى الجبر ، وهو القول بأن الله يجبر العباد على الذنوب ، أى يكرههم عليها .

(٢) القضيف : الدقيق العظم القليل اللحم .

تعلّقتُ بآمالِ طوالٍ أىَّ آمالِ
وأقبلتُ على الدُّنيا مُلِحًّا أىَّ إقبالِ
أيا هذا تجهَّز لـ فراق الأهل والمالِ
ولا بُدّ من الموتِ على حالٍ من الحالِ

ثم قال مُصعب : هذا كلام حَسن سَهل لا نُقصان فيه ، يَعرفه العاقل ويُقِرّ به الجاهل .

للأصمعى فى شعره

وكان الأصمعىُّ يَستحسن قولَ أبى العتاهية :

أنت ما اُستَغْنيتَ عن صا حِبك الدَّهرَ أخوهُ
فإذا اُحتجْت إليه ساعةً مجّك فُوه

بين الشهرزورى وسلم فى شعره

وحكى صالح الشَّهرزوريّ قال : أتيت سَلْمًا الخاسر فقلت له : أنشدنى لنفسك. فقال : لا ، ولكنْ أُنشدك لأشعر الجنّ والإنس ، لأبى العتاهية . ثم أنشدنى له :

سَكَنٌ يَبقى له سَكَنُ ما بهذا يُؤْذِن الزَّمَنُ
نحن فى دارٍ يُخبِّرنا ببِلَاها ناطقٌ لَسِن
دارُ سَوْء لم يَدُمْ فَرَحٌ لأمرىءٍ فيها ولا حَزَن
فى سبيل الله أنفسُنا كلُّنا للموت مُرْتَهَن
كلُّ نفسٍ عند مِيتتها حظُّها من مالها الكَفن
إنّ مال المَرء ليس له منه إلّا ذكرُه الحَسن

رأى ابن رزين فيه

وقيل لداود بن زيد بن رَزين : من أشعرُ أهل زماننا ؟ فقال : أبو نُواس . فقلت : ما تقول فى أبى العتاهية ؟ قال : أبو العتاهية أشعرُ الجنّ والإنس .

له فى قوله الشعر

وقيل لأبى العتاهية : كيف تقول الشعر ؟ قال : ما أردتُه قطُّ إلّا مَثَل لى، فأقُول ما أُريد وأترك ما أُريد .

وكان يقول : لو شئتُ أن أجعلَ كلامى كُلَّه شعراً لفعلتُ.

هو وبشار وأشجع فى حضرة المهدى

وذُكر أنّ المهدىّ جَلس للشُّعراء يوماً ، وفيهم بشّار بن بُرد، وأَشجع — وكان أشجع يأخذ عن بشّار ويُعظمه — وغيرُ هذين . وكان فى القوم أبو العتاهية . قال أَشجع : فلمّا سمع بشّار بن بُرد كلامَه ، قال: يا أخا سُلَيم، أهذا ذاك الكُوفىّ الملقّب ؟ فقلت : نعم . فقال : لا جَزى اللهُ خيراً مَن جَمعنا معه ! ثم قال له المَهدى : أَنشد . فقال لى بشّار : ويحك ! ويُستنشد فيُنشد قبلنا أيضاً ! فقلت : قد ترى . فأَنشد :

أَلا ما لسيِّدتى ما لَهَا ... أدَلًّا فأَحمِل إدلالَهَا
وإلّا فَفِيمَ تَجَنَّت وما ... جَنيتُ سَقَى اللهُ أَطلالَها
أَلَا إنّ جاريةً للإما ... م قد أُسكن الحُسن[1] سِرْبالَها
مَشتْ بين حُورٍ قِصارِ الخطا ... تُجاذِب فى المَشْى أَكْفالَها
وقد أَتعب اللهُ نَفسى بها ... وأَتعب باللّوم عُذّالَها

قال أَشجع : فقال لى بشّار : ويحك يا أخا سُليم ! ما أدرى من أىّ أَمرَيْه أعجب : أمن ضَعف شعره ، أم من تَشبيبه بجارية الخليفة ، يُسمعه[2] ذلك بأُذنه ! حتى أتى على قوله :

أَتتْه الخلافةُ مُنقادةً ... إليه تُجَرِّر أذيالَها
ولم تَكُ تَصْلُح إلا لَه ... ولا يَكُ يَصلُح إلّا لَهَا
ولو رامها أَحدٌ غيرُه ... لزُلزلت الأرضُ زِلْزالَها
ولو لم تُطعْه بَناتُ[3] القُلوب ... لَمَا قَبِل اللهُ أَعمالَها
وإنّ الخليفةَ من بُغض « لا » ... إليه ليُبْغض مَن قالَها

(١) فى بعض أصول الأغانى : « الحب » .
(٢) فى بعض أصول الأغانى : « يسمع » .
(٣) بنات القلوب : النيات .

فقال له بشّار ، وقد اهتزّ طرباً : ويحك يا أخا سُليم ! أترى الخليفةَ لم يَطِر عن فَرشه طَرَباً لِمَا يأتى به هذا الكوفى !

شعره فى التوحيد وقد اتهم بالزندقة

وحكى الخليلُ بى أسد قال :

جاءنا أبو العتاهية إلى منزلنا فقال : زَعم الناسُ أنّى زِنْديق ، واللهِ ما دِينى إلا التَّوحيد . فقلنا : قُل شيئاً نتحدَّثْ به عنك . فقال :

ألَا إنّنا كُلّنا بائدُ ... وأىّ بَنى آدمٍ خالِدُ
وبَدْؤهُم كان مِن ربّهم ... وكُلٌّ إلى ربِّه عائد
فياعجباً كيف يُعْصَى الإلـ ... ـهُ أم كيف يَجْحده الجاحِد
وفى كُل شىءٍ له آيةٌ ... تدُلُّ على أنّه واحـد

مزدوجة له

ولأبى العتاهية مُزْدوجة طويلة بديعة ، قد اشتملت على غرائب الحِكم والأمثال ، يقال إنها اشتملت على أربعة آلاف مَثل . وقد ذكرتُ جميعَ ما أورده أبو الفرج فى كتابه :

حَسْبك مما تَبْتغيه القُوتُ ... ما أكثرَ القُوتَ لمن يَموتُ
الفقرُ فيما جاوز الكَفَافَا ... مَن اتّقى اللهَ رجا وخافَا
هى المقاديرُ فَلُمْنى أو فَذَرْ ... إنْ كنتُ أخطأتُ فما أخْطا القدَرْ
لكُل ما يُؤذِى وإن قَلّ أَلَمْ ... ما أطولَ الليلَ على من لم يَنَمْ
ما انتفع المرء بمثل عَقْلِهِ ... وخيرُ ذُخر المرء حُسن فِعْلِهِ
إنّ الفَساد ضِدُّه الصلاحُ ... ورُبَّ جِدٍّ جَرَّه المِزاحُ
مَن جعل النّمّامَ عَيناً هَلَكَا ... مُبلغك الشَّرَّ كباغِيه لكَا
إنّ الشَّباب والفَراغ والجِدَهْ ... مَفسدةٌ للمرء أىُّ مَفسَدهْ
يُغْنيك عن كُلِّ قَبيحٍ تَرْكُهُ ... يَرْتَهن الرَّأىَ الأصيلَ شَكُّهُ

ما عيشُ من آفتُه بقاؤُهُ ... نَغِّص عيشاً كلَّه[1] فيناؤُهُ
يا رُبَّ مَن أسخطنا بجَهْدِهِ ... قد سَرَّنا اللهُ بغير حَمْدِهِ
ما تطلُع الشمسُ ولا تَغيبُ ... إلّا لأمرٍ شأنُه عَجيبُ
لكُل شىءٍ مَعدنٌ[2] وجَوهرُ ... وأوسطٌ وأصغرٌ وأكبرُ
فكُل شىء لاحقٌ بجَوهرهْ ... أصغرُه متَّصلٌ بأكبرِهْ
مَن لك بالمَحْض وكُلٌّ مُمتزجْ ... وساوسٌ فى الصَّدر منك تَعتلجْ
ما زالت الدُّنيا لنا دارَ أذَى ... ممزوجةَ الصَّفْو بألوان القَذَى
الخيرُ والشرُّ بها أزواجُ ... لِذا نِتاجٌ ولذا نِتاجُ
مَن لك بالمَحض وليس مَحْضُ ... يَخبُث بعضٌ ويَطيب بَعْضُ
لكُل إنسانٍ طبيعتانِ ... خيرٌ وشرٌّ وهما ضِدّانِ
والخيرُ والشرُّ إذا ما عُدَّا ... بينهما بَوْنٌ بعيدٌ جدًّا
إنّك لو تَستنشق الشَّيحَا ... وجدتَه أنتَن شىءٍ ريحَا
عَجِبتُ حتى غَمَّنى السُّكوتُ ... صِرتُ كأنّى حائرٌ مَبهوتُ
كذا قَضى اللهُ فكيف أصنعُ ... والصمتُ إن ضاق الكلامُ أوسعُ

هو ورجل سأله ماينقشه على خاتمه

وقيل : شاور رجلٌ أبا العتاهية فيما ينقُش على خاتمه . فقال : أنقُش عليه : « لَعنة الله على الناس » . ثم أنشد :

بَرِمتُ بالنّاس وأخلاقهم ... فصِرْتُ أستأنس بالوُحدَهْ
ما أكثرَ الناسَ لَعَمْرى وما ... أقلَّهم فى حاصل العِدَّهْ

ابن العلاء وبعض من عاب عليه صلته أبا العتاهية

وذُكر أنّ عُمر بن العلاء ، مولى عَمرو بن حُريث صاحب المهدىّ ، كان مُمدَّحاً ، فمدحه أبو العتاهية . فأمر له بسبعين ألفَ درهم . فأنكر ذلك بعضُ

(١) فى الديوان : « طيبا » مكان « كله » .
(٢) فى الأصل : « قدر » مكان « معدن » .

الشعراء وقال : كيف فَعل هـذا بهذا الـكُوفى ! وأىّ شىء مقدارُ شعره ! فبلغه ذلك . فأحضر الرجلَ وقال له : والله إنّ الواحد منكم ليدُور على المَعنى فلا يُصيبه ، ويَتعاطاه فلا يُحسنه ، يُشبِّب بخمسين بيتاً ثم يمدحنا ببعضها . وهذا كأن المعانى تتجمّع له ، مدَحنى فقصّر التّشبيب وقال :

إنِّى أمنتُ من الزمان وريْبـه ... لمّا عَلِقْتُ من الأمير حِبالَا
لو يستطيع الناسُ من إجـلاله ... لَحذَوْا له حُرَّ الوُجـوه نِعالا
إنّ المطَايا تشْتكيك لأنّهـا ... قَطعتْ إليك سَباسباً ورِمالا
فإذا وَرَدْن بنا وَرَدْن[1] مُخِفَّةً ... وإذا رَجعن بنا رَجعن ثِقـالا

أَخذ هذا المعنى من قول نُصيب :

فعـاجُوا فأثنوا بالذى أنت أهلُه ... ولو سكتُوا أثنت عليك الحقَائِبُ

وكان الأصمعىّ يقول : للأصمعى فى شعره

شعر أبى العتاهية مِثل كُساحة[2] المُلوك ، يَقع فيها الجوهرُ والذَّهب والتُّراب والخَزف والنَّوى .

وقيل : حُمَّ الرشيدُ ، فصار أبو العتاهية إلى الفَضل بن الرَّبيع برُقعة فيها : شعره للرشيد فى مرضه

لو عَلم الناسُ كيف أنت لهم ... ماتُوا إذا ما أَلِمْتَ أجمعُهمْ
خليفةَ الله أنت ترجَح بالنَّـاس إذا ما وُزِنْت أنت وهُم
قد عَلم الناسُ أنّ وجهك يَسْـ ... ـتَغنى إذا ما رآه مُعـدِمُهم

فأنشدها الفضلُ بن الرَّبيع للرَّشـيد . فأمر بإحضار أبى العتاهية . فما زال يُسامره ويحدِّثه إلى أن بَرىء ، ووصل إليه بذلك السبب مالٌ جليل .

---

(١) مخفة : قليلة الحمل .

(٢) الكساحة : الكناسة . والذى فى بعض أصول الأغانى : « العتاهية كساحة » .

بين ابن الأعرابى وبعضهم فى شعر أبى العتاهية

وذُكر أن ابن الأعرابى حَدّث بهذا الحديث . فقال له رجلٌ فى مجلسه : ما هذا الشِّعر بمُستحق لما قلت ! قال : ولم ؟ قال : لأنه شعر ضعيف . فقال ابن الأعرابىّ : الضعيفُ والله عقلُك لا شعر أبى العتاهية ! ألأبى العتاهية تقول : إنه ضعيف الشعر ! فوالله ما رأيتُ شاعراً قطُّ أطبعَ ولا أقدرَ على بيت شعر منه ، وما أحسب مذهبه إلا ضرباً من السِّحر . ثم أنشد له :

قطَّعتُ منك حبائلَ الآمالِ ... وحَططتُ عن ظَهْرِ المَطىّ رِحالِى
ووجدتُ بَرْدَ اليأس بين جَوانحى ... فأَرحتُ من حِلٍّ ومن تَرْحال
فالآن يا دُنيا عرفتُك فاذهبى ... يا دارَ كُل تنقُّل وزَوال
يأيها البَطِر الذى هو من غدٍ ... فى قبره متمزِّق الأَوْصال
حذَف المُنى عنه المُشمِّرُ فى الهُدى ... وأَرى مُناك طويلةَ الأذيال
حِيَلُ ابنِ آدم فى الأُمور كثيرةٌ ... والموتُ يقطع حيلةَ المُحتال
قِسْتُ السُّؤال فكان أعظمَ قيمةً ... من كُل عارفةٍ جَرت بسُؤال
فإذا ابتُليتَ ببَذل وجهك سائلاً ... فابذُلْه للمتكرّم المِفضال
وإذا خَشِيتَ تعذُّراً فى بلدةٍ ... فاشدُدْ يدَيْك بعاجِل الترحال
واصبِر على غِيَرِ الزَّمان فإنما ... فَرجُ الشَّدائد مثلُ حَلِّ عِقال

ثم قال للرجل : أتعرف أن أحداً يقول مثلَ هذا الشعر ؟ فقال له الرجل : يا أبا عبد الله ، جَعلنى الله فِداك ، إنِّى لم أردُدْ عليك ما قلتَ ، ولكن الزُّهد مَذهب أبى العتاهية ، وشعره فى المَديح ليس كشعره فى الزُّهد . قال : أفليس الذى يقول فى المديح :

وهارونُ ماء المُزن يُشْفَى به الصَّدَى ... إذا ما الصَّدِى بالرِّيق غَصَّت حناجرُهْ
وأوسطُ بيت فى قُريش لبَيْتُه ... وأولُ عِزٍّ فى قريش وآخرُه
وزحْفٍ له تحكِى البُروقَ سُيوفُه ... وتحكى الرُّعودَ القاصفاتِ حوافرُه

إذا حَمِيتْ شمسُ النَّهار تَضاحكتْ إلى الشَّمس فيه بَيْضُه[1] ومَغافره
إذا نُكب الإسلامُ يوماً بنَكْبةٍ فهارونُ من بين البريةُ ثائره
ومَن ذا يفُوت الموتَ والموتُ مُدرِك كذا لم يَفُتْ هارونَ ضِدٌّ يُنافره

فخلص الرجلُ من شرّ ابن الأعرابى بأن قال له : القولُ كما قلتَ ، وما كنتُ سمعتُ له بمثل هذين الشعرين ، وكتبهما عنه .

بينه وبين ثُمامة فى البخل

وحكى ثُمامة بن أشرس قال : أنشدنى أبو العتاهية :

إذا المرء لم يُعتِق من المال نفسه تَملَّكه المالُ الذى هو مالكُه
ألَا إنما مالى الذى أنا مُنْفِق وليس لى المالُ الذى أنا تاركه
إذا كنتَ ذا مالٍ فبادرْ به الذى يَحقُّ وإلّا اُستَهْلكتْه مَهالِكه

فقلت له : من أين قضيتَ بهذا ؟ فقال : من قول رسول الله صلّى الله عليه وسلّم : إنما لك من مالك ما أكلتَ فأَفنيتَ ، أو لَبِست فأَبليت ، أو تصدَّقت فأَمضيت . فقلت له : أتُؤمن أن هذا قولُ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، وأنه الحق ؟ قال : نعم . قلت : فلِمَ تحبس عندك سبعاً وعشرين بَدْرة[2] فى دارك ، لا تأكل منها ولا تشرب ولا تُزكّى ، ولا تُقدِّمها ذُخراً ليوم فَقرك وفاقتك ؟ فقال : يا أبا مَعن ، والله إنّ ما قلتَ لهو الحقّ ، ولكنى أخافُ الفَقرَ والحاجة إلى الناس . قلتُ : وبم تَزيد حالُ من اُفتقر على حالك ، وأنت دائمُ الحرص دائم الجمع ، تضَنّ على نفسك ، لا تَشترى اللحم إلّا من عِيدٍ إلى عيد ! فترك جواب كلامى ثم قال : والله لقد اشتريتُ فى يوم عاشوراء لحماً وتوابلَه وما يتبعه بخمسة دراهم . فلما قال لى هذا القول أضحكنى حتى أذهلنى عن جوابه ومُعاتبته ، فأمسكتُ عنه وعلمتُ أنه ليس ممّن شَرح الله صدرَه للإسلام .

(١) البيض : جمع بيضة ، وهى الخوذة .
(٢) البدرة : عشرة آلاف درهم .

وحكى بعضُهم قال :

هو وسائل

وقف على أبى العتاهية سائلٌ من العيَّارين[1] الظُّرفاء ، وجماعةٌ من جيرانه حوالَيْه ، فسأله من بين الجيران ، فقال : صَنع الله لك . فأعاد السؤال . فردّ عليه . فأعاد عليه ثالثةً . فردّ عليه مثلَ ذلك . فغضب وقال له : ألستَ الذى تقول :

كل حَىٍّ عند مِيتته حظُّه من ماله الكَفَنُ ؟

قال : نعم . قال : فبالله عليك ، أتُريد أن تُعِدّ مالَك كله لثمن كَفنك ؟ قال : لا . قال : فبالله كم قدَّرت لكفنك ؟ قال : خمسة دنانير . قال : هى إذاً حظُّك من مالك ؟ قال : نعم . قال : فتصدَّق علىّ من غير حظّك بدِرهم واحد . قال : لو تصدَّقتُ عليك لكان حظِّى . قال : فاعمل على أنّ ديناراً من الخمسة الدنانير وَضيعة[2] قيراط ، وادفع إلىّ قيراطاً واحداً ، وإلّا فواحدة أُخرى . قال : وما هى ؟ قال : القُبور تُحفر بثلاثة دَراهم ، فأعطنى درهماً وأُقيم لك كفيلاً بأنى أحفر لك قبرك به متى متَّ ، وتَربحَ دِرْهمين لم يكونا فى حِسابك ، فإن لم أحفر رددتُه على ورثتك ، أو ردّه كفيلى عليهم . فخَجِل أبو العتاهية وقال : أعْزُبْ لعنك الله وغَضب عليك ! وضَحك جميعُ مَن كان حاضراً . ومَرّ السائل يضحك . والتفت إلينا أبو العتاهية ، وقد اغتاظ ، فقال : من أجل هذا وأمثاله حُرِّمت الصدقة . فقُلنا له : ومن حَرّمها ؟ ومتى حُرّمت ؟ فما رأيت أحداً قبله ولا بعده ادّعى أنّ الصدقة حُرِّمت .

وداعه لأبى غزية

وقال أبو غَزيّة :

كان أبو العتاهية إذا قدم المدينةَ يجلس إلىّ ، فأراد مرةً الخروج من المدينة ، فودّعنى ثم قال :

---

(١) العيار : الذى يتردد بلا عمل .

(٢) الوضيعة : الحطيطة .

إنْ نَعِش نجتمعْ وإلّا فما أَشْـ ـغلَ مَن مات عن جَميع الأَنامِ

بينه وبين غلام لبعض التجار طالبه بمال

وقيل :

كان لبعض التجّار من أهل باب الطاق[1] على أبى العتاهية ثمنُ ثِيابٍ أخذها منه، فمرّ به يوماً، فقال صاحبُ الدُّكان لغُلام ممّن كان يخدُمه حَسنِ الوجه : أَدرك أبا العتاهية ولا تُفارقه حتى تأخُذَ منه مالنا عليه . فأَدركه على رأس الجسر ، فأَخذ بعِنان حِماره ووَقفه . فقال له : ما حاجتُك يا غلام ؟ قال : أنا رسول فلان بَعثنى إليك لآخُذَ ما له عليك . فأَمسك عنه أبو العتاهية ، وكان كُلُّ مَن رأى الغُلام متعلِّقاً به وقَف ينظُر ، حتى رضى أبو العتاهيـة جَمْع الناس وحَفْلهم ، ثم أنشأ يقول :

واللهِ ربّى[2] إننّى لأُجِلُّ وجهك عن فِعالِكْ
لو كان وَجْهك مثـلَ فِعْـ ـلك[3] كنتُ مكتفياً بذلك

فخَجل الغـلامُ ، ورَجع إلى صاحبه وقال : بعثْتَنى إلى شَـيطان ، جمع علىَّ الناس وقال فىَّ الشّعر حتى أخجلنى ، فهَرَبتُ منه .

شعره لابن مسعدة وكان قد حجب عنه

وذُكر أن أبا العتاهية كان يَختلف إلى عمرو بن مَسعدة ، لوُدٍّ كان بينه و بين أخيه مُجاشع ، فاستأذن عليه يوماً ، فحُجب عنـه ، فلَزم منزلَه . واستبطأه عمرو . فكتب إليه : إنّ الـكسل مَنعنى من لقائك . وكتب فى أسفل رُقعته :

كَسَّلنى اليأسُ منكَ عنك فمـا أَرفع طَرْفى إليك من كَسَلِ
أىّ امرىء لم يكن أخا[4] ثِقةٍ قطّعتُ منـه حبـائلَ الأَمل

(١) باب الطاق : محلة كبيرة ببغداد بالجانب الشرقى .
(٢) فى بعض أصول الأغانى : « ربك » .
(٣) فى بعض أصول الأغانى : « لو كان فعلك مثل وجهك » .
(٤) فى بعض أصول الأغانى : « إنى إذا لم يكن أخى » .

وقيل : إنّه كتب إليه مَرة :

مالَك قد حُلت عن إخائك وأسـ ... ـتَبْدلتَ يا عَمرُو شِيمةً كَدِرَهْ
إنِّى إذا البـابُ تاه حاجبُـهُ ... لم يك عنـدى فى هَجْره نَظِره
لستُم تُرجَّون للوفَاء[1] ولا ... يومَ تكون السَّماء مُنفطره
لـكنْ لدُنيـا كالظِّل بَهْجتُهـا ... سريعـةُ الاَنقضـاء مُنْشمره
قد كان وجهى لديكَ معرفةً ... فاليومَ أضحى حَرْفاً من النَّـكره

هجـاؤه جارية كان يهواها

وقيل :

كان أبو العتاهيـة يَهوى فى حداثته اُمرأةً نائحة من أهل الحِيرة ، لها حُسن ودَماثة ، يقال لها : سُعدى . وكان عبد الله بن معن بن زائدة الشَّيبانى ، المُكنّى بأبى الفضل ، يهواها أيضاً ، وكانت مولاةً لهم ، ثم اُتهمها أبو العتاهيـة بالنساء ، فقال فيها :

ألا يا ذَواتِ السَّحقِ فى الغَرب والشّرق ... أفِقْنَ فإنّ النَّيْـك أشْفَى من السَّحْقِ
أفِقْنَ فإنّ الخُبز بالأُدم يُشْتَهَى ... وليس يَسُوغ الخُبزُ بالخُـبز فى الحَلْق
أراكنّ تَرْقعن الخُروق بمثلهـا ... وأىّ لبيبٍ يرقَع الخَـرْق بالخَرق
وهل يَصلُح المِهْراس[2] إلّا بعُوده ... إذا اُحتِيج منـه ذاتَ يوم إلى الدَّق

هجاؤه لابن معن

وتهدَّد عبـدُ الله بن مَعن بن زائدة أبا العتاهيـة وخَوَّفه ، ونهاه أن يُعرِّض لمولاته سُعدى . فقال أبو العتاهية يهجوه :

لقـد بُلِّغتُ ما قالَا ... فمـا باليتُ ما قا لَا
فلو كان من الأُسْـد ... لمـا صَـال ولا هَالا
فصُغْ من حِلْية السَّيف الـ ... ـلذى أُلبست[3] خَلْخالا

(١) فى بعض أصول الأغانى : « للحساب » مكان « للوفاء » . (٢) المهراس : الهاون .
(٣) رواية البيت فى بعض أصول الأغانى :

فصغ ما كنت حليت ... به سيفك خلخـالا

وبهذه الرواية أعاد ابن واصل البيت بعد قليل .

فما تَصنع بالسَّيف إذا لم تَكُ قتَّالا
فلو مَدَّ إلى أُذْنَيْـ ـه كفّيه لما نالا
قَصيرُ الطُّول والطِّيلـ ـةِ[1] لا شَبّ ولا طالا

وقال فيه يهجوه :

يا صاحبَيْ رَحْلَيَ لا تُكثِرَا فى شَتْم عبد الله من عَذْلِ
سُبحانَ من خَصّ ابن معنٍ بما أرى به من قِلَّة العَقل
قال ابنُ مَعْنٍ وجَلا نَفْسَه على مَنِ الجَلْوةُ يا أَهْلى
أنا فتاةُ الحىّ من وائلٍ فى الشَّرَف الشّامخ والنُّبْل
وَيْلى ويالَهْفى على أَمْردٍ يُلْصِق منّى القُرطَ[2] بالحِجْل
صافحتُه يوماً على خَلْوةٍ فقال دَعْ كفّى وخُذْ رِجْلى
أُختُ بنى شَيْبان مرّت بنا ممشوطةً كُوراً[3] على بَغْل
تُكْنَى أبا الفَضل فيامَن رأى جاريةً تُكْنى أبا الفضل
قد نَقَّطت فى وجهها نُقْطةً مَخافةَ العين من الكُحل
إن زُرْتموها قال حُجّابها نحن عن الزُّوّار فى شُغل
مولاتُنا مشغولةٌ عندها بَعْلٌ ولا إذنَ على البَعل
يا بنتَ مَعْنٍ الخير لا تَجْهلى وأين تقصيرٌ[4] عن الجَهل
أتَجْلِد الناسَ وأنت امرؤٌ تُجْلد فى دُبرك[5] بالفَسْل
ما يَنبغى للنّاس أن يَنْسُبوا مَن كان ذا جُودٍ إلى البُخل
يَبذُل ما يمنع أهلُ النَّدى هذا لَعمرى مُنتهى البَذْل

(١) الطيلة : العمر . (٢) الحجل : الخلخال . (٣) الكور : الرحل .
(٤) فى بعض أصول الأغانى : « إقصار » مكان « تقصير » .
(٥) الرواية فى بعض أصول الأغانى : * تجلد فى الدبر وفى القبل *
والفسل : قضبان الكرم . يورى .

ما قلتُ هـــذا فيك إلّا وقد جَفَّت به الأقـــلامُ من قَبلى

قيل : فاحْتال عبدُ الله بن مَعن على أبى العتاهية حتى أخذه فى مكان فضَربه مائة سَوط ضَرباً ليس بالمُبرِّح غيظاً عليه . وإنما لم يُعنِّف به فى الضَّرب خوفاً مِن كثرة مَن يُعنى به . فقال أبو العتاهية يهجوه :

جَـــلدتْنى بكفِّها بنتُ مَعن بن زائـدَهْ
جَـــلدتْنى فأَوجعتْ بأَبى أنتِ[1] جالده
جَـــلدتْنى وبالغتْ مائةً غـيرَ واحـدَه
أَجْلدى أجلدى[2] أجلدى إنمـــا أنتِ والِـده

وغَضب من ذلك يزيدُ بن مَعن أخو عبـدُ الله وتوعّد أبا العتاهيـة . فقال أبو العتاهية يَهجوه ، من قصيدة أولها :

بَنَى مَعْنٌ ويَهـدمه يزيدُ كذاك الله يَفعـل ما يُريدُ
فمعنٌ كان للحُسَّـاد غَيْظًا وهـذا قد يُسَرُّ به الحَسُود

وقيل : إن عبد الله بن مَعن أَحضر أبا العتاهية ودعا بغِلْمان له ، ثم أمرهم أن يَفْسقوا به . ففعلوا . ثم أَجلسه وقال : قد جازيتُك على قولك ، فهل لك بعد هذا فى الصُّلح ومعـه مَرْكبٌ وعشرة آلاف درهم ، أو تقيم على الحرب وما تَرى ؟ قال : بل الصُّلح . قال : فأَسمعنى ما تقوله فى معنى الصُّلح . فقال :

ما لعُـــذّالى ومالِى أَمرونى بالضّـــلال
عَذلونى فى اُعتفـارِى لابن مَعْن واحتمالى
إنْ يكُن ما كان منـه فبجُرْمى وفِعـــالى

(١) فى بعض أصول الأغانى : « تلك » مكان « أنت » .
(٢) رواية هذا الشطر فى بعض أصول الأغانى :
* اجلدينى واجلدى *

أنا منـه كنتُ أسوا عِشرةً فى كلّ حال
قُل لمن يعجب من حُسـ ـن رُجوعى ومَقـالى
رُبَّ صَفْح بعد[1] جُرم وهوًى بعـد[2] تَقالى
قد رأينـاك كبيراً جائزاً[3] بين الرِّجال
إنمـا كانت يَمينى لطمتْ منى شِمـالى

وقيل : إن عبد الله بن مَعن لما قال فيه أبو العتاهية :

فصُغ ما كنت حَلّيْت به سـيفَك خَلْخـالاَ
فمـا تَصنع بالسَّـيف إذا لم تكُ قتّـالا

قال : والله ما لبستُ سيفى قط ، فرأيتُ إنساناً يلمحنى إلّا ظننتُه يحفظ قولَ أبى العتاهية فى ذلك ، فأخجل .

تمثل الرشيد ببيت له عنـد رؤيته ابن معن

وكان الرشيدُ إذا رأى عبدَ الله بن مَعن تمثّل ببيت أبى العتاهية :

أُختُ بنى شَيبان مرّت بنـا مَمْشوطةً كُوراً[4] على بَغْلِ

بينه و بين مسلم ابن الوليد

وقيل :

اُجتمع أبو العتاهية ومُسلم بن الوليد صَريع الغَوانى ، فجرى بينهما كلامٌ . فقال له مسلم : والله لو كنتُ أرضى مثل قولك :

الحمـدُ والنِّعمةُ لكْ والمُلْك لا شَريكَ لَكْ
لبيك إنّ المُلْك لَكْ

(١) فى بعض أصول الأغانى : « صد » مكان « جرم » .
(٢) التقالى : التباغض .
(٣) الرواية فى بعض أصول الأغانى :
* قد رأيناك كثيراً * جارياً »
(٤) الكور : الرحل .

لقلتُ اليوم عشرة آلاف بيت ، ولـكنِّى أقول :

مُوفٍ على مُهَجٍ فى يوم ذى رَهَجٍ كأنه أجلٌ يَسعى إلى أملِ
يَنال بالرِّفق ما يَعيا الرِّجالُ به كالموتِ مُستعجلاً يأتى على مَهل
يكسو السُّيوفَ نُفوسَ الناكثين به ويجعلُ الهامَ تِيجانَ القَنا الذُّبُل
لله من هاشمٍ فى أرضه جَبَلٌ وأنت وابنُك رُكْنَا ذلك الجَبَل

فقال أبو العتاهية : يابن أخى ، قُل مثل قولى :

* الحمدُ والنِّعمة لك *

حتى أقول مثل قولك :

* كأنه أجلٌ يَسعى إلى أَمل *

بينه و بين بشار

وقيل : قال بشّار لأبى العتاهية : أنا والله أستحسن اعتذارَك من دَمعك حيث تقول :

كم من صَديق لى أُسا رقه البُكاء من الحَياء
وإذا تأمَّل لامَنى فأقول مابى من بُكاء
لـكنْ ذهبتُ لأرتدى فطَرفتُ عينى بالرِّداء

فقال له أبو العتاهية : يا أبا مُعاذ ، ما لُذتُ إلا بمَعناك ، ولا اجتنيتُ إلا من غَرْسك ، حيث تقول :

شكوتُ إلى الغَوانى ما ألاقى فقلتُ لهن ما يومى بَعيدُ
فقُلْن بكيتَ قلتُ لهن كلاّ وقد يَبْكى من الشَّوق الجَليد
ولـكنِّى أصابَ سوادَ عَينى عُويدُ قَذًى له طَرَفٌ حَديد

بينه و بين الرشيد وقد وجد عليه

وذكر الفضلُ بن الرَّبيع قال :

وَجَد الرَّشيدُ ، وهو بالرَّقة ، على أبى العتاهية فى شىء ، وأبو العتاهية بمدينة

السّلام . وكان أبو العتاهية يرجو أن أتكلّم فى أمره . فأبطأتُ عليه بذلك . فكتب إليه أبو العتاهية :

أَجفوتَنى فيمن جفانى وجعلتَ شأنَك غيرَ شانِى
ولطالما أَمَّنْتَنى مما أرى كُلَّ الأَمان
حتى إذا انقلب الزَّما نُ علىّ صرتَ مع الزّمان

فكلّمتُ الرشيدَ فيه ، فرضى عنه . وأرسلتُ إليه آمرُه بالشُّخوص وأذكر له أن أمير المُؤمنين قد رَضى عنه . فشَخص إلىّ بالرّقة . فلما دَخل إلىّ أنشدنى قولَه فيه :

قد دعوناه نائياً فوجدنا ه على نأيه قريباً سَمِيعَا

فأدخلتُه إلى الرشيد . فرجَع إلى حالته الأُولى .

بينه و بين عبدالله ابن الحسن

وحَكى عبدُ الله بن الحسن قال :

جاءنى أبو العتاهية وأنا فى الديوان فجلس إلىّ ، فقلت له : يا أبا إسحاق ، أما يصعُب عليك شىء من الألفاظ فتحتاج فيه إلى استعمال الغريب كما يحتاج إليه سائرُ الناس ممن يقول الشعر ، أو إلى لفظ مُستكره ؟ فقال : لا . فقلت له : إنى أحسب ذلك من كثرة ركوبك القوافى السهلة . قال : فاعرض علىّ ما شئت من القوافى الصعبة . فقلت : قُل أبياتاً على مثل « البلاغ » . فقال من ساعته :

أىُّ عيشٍ يكون أفضل من عَيْـ ـشٍ كَفاف قُوتٍ بقَـدْر البلاغِ
صاحبُ البغْى ليس يسلَم منـه وعلى نَفْسـه بغَى كلُّ باغِى
رُبَّ ذى نِعمـة تعرَّض منها حائلٌ بينه و بين المَسـاغ
أَبْلَغ الدهرُ فى مَواعظـه بل زاد فيهنّ لى على الإبلاغ
غَبَنتْنى الأيامُ عقـلى ومالى وشـبابى وصحّتى وفراغى

صلة الرشيد له من بين الشعراء

وقيل : أُجتمعت الشعراء بباب الرَّشيد ، فأَذن لهم فدخلوا وأَنشدوا ، وأَنشد أبو العتاهية :

يا من تَبَغَّى[1] زمناً صالحاً صلاحُ هارونَ صلاحُ الزَّمنْ
كُلُّ لسانٍ هُو فى مُلكه بالشُّكر فى إحسانه مُرْتَهن

فاهتزّ الرشيدُ وقال : أحسنتَ والله ! وما خَرج فى ذلك اليوم أحدٌ من الشعراء بصلة غيرُه .

رثاؤه لابن ثابت

قيل :

وكان علىّ بن ثابت صديقاً لأبى العتاهية ، و بينهما مُجاوبات كثيرة فى الزُّهد والحكمة ، فتُوفِّى ابن ثابت قبله ، فقال يرثيه :

مؤْنِسٌ كان لى هَلَكْ والسبيلُ التى سَلَكْ
يا علىّ بن ثابتٍ غَفَر الله لى ولَك
كُلُّ حىٍّ مُملَّكٍ سوف يَفْنَى وما مَلَك

وحضر أبو العتاهية علىَّ بن ثابت وهو يجُود بنفَسه ، فلم يزل يَلتزمه و يبكى حتى فاظ . فلما شُدّ لَحياه بكى طويلاً ، ثم أنشأ يقول :

يا شَرِيكى فى الخير قَرَّبك اللّه فنِعْمَ الشَّريكُ فى الخير كُنْتَا
قد لعَمْرى حَكَيْتَ لى غُصَص المو ت فحَرَّكْتَنى لها وسَكَنْتا

ولما دُفن وقف على قبره يبكى بأحرّ بكاء و يردّد هذه الأبيات :

ألَا من لى بأُنسك يا أُخَيّا ومَن لى أن أُبُثَّك ما لديَّا
طوتْك خُطوبُ دهرك بعد نَشْرٍ كذاك خُطوبُه نَشراً وطَيّا

(١) تبغى : تطلب .

كفى حزناً بفقدك ثم إنّى نفضتُ تُرابَ قبرك مِن يديّا
بكيتُك يا علىّ بدَمع عَينى فما أغْنى البُكاء عليك شَيّا
وكانتْ فى حياتك لى عظاتٌ فأنتَ اليومَ أوعظُ منك حَيّا

وهذه الكلمات أخذها أبو العتاهية من الحكماء الذى حَضروا تابوت الإسكندر ذى القَرْنين بن فيلبس لمّا مات . فقال أحدُهم : كان الملك أمسِ أهيبَ منه اليوم ، وهو اليوم أوعظُ منه أمس .

وقال آخر : سكنتْ حركة الملك فى لذّاته ، وقد حرَّكنا اليوم بسُكونه جزعاً لفقده .

هو وفتيان قامرهم على قول الشعر

وقيل :

اجتاز أبو العتاهية فى أول أمره ، وعلى ظَهره قَفصٌ فيه فخّار يدُور به بالكُوفة ويَبيع منه ، بفِتْيان جُلوس يتذاكرون الشِّعر ويتناشدونه ، فسلّم ووضع القفص عن ظَهره ، ثم قال لهم : يا فِتيان ، أراكم تتذاكرون الشِّعر وتقولونه ، أفأقول شيئاً منه وتُجيزونه ، فإنْ فعلتم فلكم علىّ عشرة دراهم ، وإن لم تَفعلوا فعليكم عشرة دراهم ؟ فهزِئوا منه وسَخروا وقالوا : نعم ، لا بُدأن يُشترى بأحدالقَمْرين رُطبٌ يؤكل ، فإنه قمر[1] حاصل . وجعل رَهْنه على يد أحدهم[2] . ففعلوا . فقال : أجيزوا :

* ساكنِي الأجداث أنتم *

وجعل بينه و بينهم وقتاً وعلامة فى ذلك الموضع إذا بلغتْه الشمسُ ولم يُجيزوا البيتَ ، وجب القَمْر عليهم . فلم يأتُوا بشىء . فأخذ الدراهم ، وجعل يهزأ منهم وتمّمه :

. . . . مثلَنا بالأمس كنتم
ليت شِعْرى ما صَنعتُم أربِحتم أم خَسِرتم

(١) فى بعض أصول الأغانى : « القمارين . . . قمار » .
(٢) فى بعض أصول الأغانى : « تحت يد أحدهم » .

وهى قصيدة طويلة من شعره .

جائزة المأمون له على بيتين

وقيل :

وقعت رقعةٌ فى عسكر المأمون ، فجىء بها إلى مُجاشع بن مَسعدة ، فقال : هذا الكلامُ لأبى العتاهية ، وهو صديقى ، وليست المُخاطبة لى ولكنها للأمير الفَضل بن سَهل . فبعثوا بها إليه ، فقرأها فقال : ما أعرف هذه العلامة . فبلغ خبرُها المأمونَ ، فقال : هذه لى ، وأنا أعرف العلامةَ . والبيتان :

ما على ذا كُنّا اتفقْنا[1] بسَندا ... نَ وما هكذا عَهِدْنا الإخاءَ

تَضرب الناسَ بالمُهنَّدة البيـ ... ـضِ على غَدْرهم وتَنْسى الوفاء

فبعث إليه المأمونُ بمال .

أطلقه الرشيد من الحبس لشعر سمعه له

وقيل :

حَبس الرشيدُ أبا العتاهية ليرجع إلى قول الغَزل ، وكان تركه واقتصر على الزُّهديّات ، ولما لَجَّ فى امتناعه ضَربه وحَبسه ووكّل به صاحبَ خَبَرٍ يكتب إليه بكُل ما يَسمعه منه . فكتب إليه : إنه سَمعه يُنشد :

أمَا والله إنّ الظُّلم لُومُ ... وما زال المُسىء هو الظَّلومُ

إلى دَيّان يومِ الدِّين نَمضى ... وعنـد الله تَجتمع الخُصوم

فبكى الرشيدُ وأمر بإحضار أبى العتاهية و إطلاقه .

إجابته لبعضهم وقد سأله عن أحسن ما قال

وقال بعضُهم :

قلتُ لأبى العتاهية : فى أىّ شعرك أنت أشعر ؟ قال : قولى :

الناسُ فى غَفلاتهمْ ... ورَحَى المَنيّة تَطْحَنُ

ما دُون دائرة الرَّدى ... حِصْنٌ لمن يَتحصَّن

(١) سندان : مدينة ملاصقة للسند . والرواية فى بعض أصول الأغانى : « افترقنا بسندان » .

شعر له فى الموت أنشده المأمون

وذكر المُعلَّى بن أيوب قال :

دخلتُ على المأمون يوماً وهو مُقبل على شيخ حَسن اللِّحية خَضيبٍ شديدِ بياض الثياب، على رأسه لاطئة[1]، فقلت للحسن بن أبى سعيد — وهو ابن خالة المُعلَّى بن أيوب ، وكان الحسن كاتبَ المأمون على العامّة — : مَن هذا ؟ فقال : أوَما تعرفه ؟ فقلت : لو عرفتُه ما سألتك عنه . قال : هذا أبو العتاهية . فسمعتُ المأمونَ يقول : أَنشدنى ما قلت فى الموتِ . فأنشده :

أَنساكَ مَحْيـــاكَ المَماتَا ... فطلبْتَ فى الدُّنيـا الثَّباتَا
أَوثقْت بالدُّنيـــا وأنـ ... ـت ترى جَماعتهـا شَتاتا
وعزَمتَ منك على الحيـا ... ة وطُولِهـا عَـزْماً بَتاتا
يا مَن رأى أبَويْه فيـ ... ـمَنْ قد رأى كانا فماتا
هل فيهما لك عِـــبرةٌ ... أم خِلْت أنّ لك انفلاتا
ومَن الذى طلب التفلُّـ ... ـت من منيّتـــه ففاتا
كلٌّ تُصبِّحـــه المَنيّـ ... ـة أو تُبيِّتـــه بَياتا

فلما نَهض تَبعتُه ، فقبضتُ عليه فى الصَّحن ، أو فى الدِّهليز ، فكتبتُها عنه .

أخذ عليه الرشيد معنى فى شعره فعده فأجاد فجازاه

وقيل :

دخل أبو العتاهية على المأمون فأنشده :

ما أحسَن الدُّنيا وإقبالَها ... إذا أطاع اللهَ مَنْ نالَها
مَن لم يُواسِ الناسَ فى فضله ... عَرَّض للإدبار إقبالَهـا

فقال له المأمون : ما أجودَ البيت الأول ! وأما الثانى فما صنعتَ فيه شيئاً ، الدُّنيا مُدبرة عمّن واسى بها أو ضنّ منها ، وإنما تُوجب السَّماحةُ بها الأجرَ ، والضنُّ

(١) اللاطئة : قلنسوة صغيرة تلطأ بالرأس .

بها الوِزْرَ . فقال : صدقتَ يا أمير المؤمنين ، أهل الفضل أولى بالفضل ، وأهل النَّقص أولى بالنَّقص . فقال المأمون : يا ثابت ، أُدفع إليه عَشْرة آلاف درهم لاعترافه بالحقّ . فلما كان بعد أيّام عاد فأنشده :

كم غافلٍ أودى به الموتُ ... لم يأخُذ الأهبةَ للفَوْتِ
من لم تَزُلْ نعمتُه قبلَه ... زال عن النِّعمة بالمَوت

فقال له المأمون : الآن أحسنت وطيَّبْتَ[1] المعنى ، وأمر له بعشرين ألف درهم .

لم يبعث إليه المأمون على هديته فكتب إليه شعراً

وقيل :

كان أبو العتاهية يحُج فى كل سنة ، فإذا قَدم أَهدى إلى المأمون بُرداً ومِطْرفاً ومَساويكَ أراكٍ ونَعلاً سوداء ، فيبعث إليه بعشرين ألف درهم . فأهدى إليه سنةً كما كان يُهدى ، فلم يَبعث إليه شيئاً . فكتب إليه :

خبَّرُونى أنّ مِن ضَرْب السَّنَهْ ... جُدُداً بِيضاً وصُفْراً حسَنَهْ
أُحدِثتْ لكنّنى لم أرها ... مثلَ ما كنتُ أرى كلَّ سنه

فأمر المأمون بحمل العشرين ألف إليه . وقال : أغفلناه حتى أذكرنا .

تهنئته الهادى بمولود

وقيل :

وُلد لمُوسى الهادى ولدٌ فى أول يومٍ وَلى فيه الخلافة ، فدخل عليه أبو العتاهية فأنشده :

أكثر مُوسى غيظَ حُسَّادِهِ ... وزَيَّن الأرضَ بأولادِهِ
وجاءنا من صُلْبه سيِّدٌ ... أصْيدُ فى تَقْطيع أجدادِه
واكتستِ الأرضُ به بهجةً ... واستبشر الملكُ بميلادِه

(١) فى بعض أصول الأغانى : « طيبت » .

وأبتسم المنبر عن فرحةٍ بقوم[1] صِدْقٍ فوق أعواده
كأنّنى بعد قليلٍ به بين مواليه وقوّاده
فى جَحْفل[2] تخفق راياتُه قد طَبَّق الأرض بأجناده

فأمر له الهادى بألف دينار ، وكان ساخطاً عليه لانقطاعه إلى أخيه هارون الرشيد فى أيّام أبيهما المهدىّ ، ورضى عنه .

تعقيب لابن واصل فى عهد المهدى لأولاده

قلت : كان المهدىُّ قد جَعل ولاية عهده إلى ابنه موسى الهادى ، ثم بعده لابنه هارون الرشيد . فلما مات المهدىُّ تقلّد موسى الهادى الأمر وتغيَّر لأخيه هارون الرشيد وعَزم على خلعه من ولاية عهده ، ونقل ذلك إلى ولده جعفر بن الهادى . فلم تطُل أيامُه إلا سنةً وشهراً وأياماً . ثم مات الهادى وصفت الخلافةُ لهارون الرشيد وطالت أيامُه . ولم يَلِ الخلافةَ بعده إلا مَن هو مِن عَقِبه إلى يومنا هذا ، ولم يُقدِّر الله للهادى إتمامَ ما نواه من الغَدْر .

أنشد المهدى فى غضبه على أبى عبيد الله

وقيل :

دخل أبو عُبيد الله على المهدىّ، وقد وَجد عليه فى أمر بلغه عنه ، وأبو العتاهية حاضرُ المجلس ، فجعل المهدىُّ يشتُم أبا عُبيد الله ويتغيّظ عليه ، فجرَّ برجله وحُبس . ثم أطرق المهدىُّ طويلاً ، فلما سكن أنشده أبو العتاهية :

أرى الدُّنيا لمن هى فى يديْه عَذاباً كُلما كثرت لديْه
تُهين المُكرِمين لها[3] بصغرٍ وتُكرم كلَّ من هانت عليه
إذا استغنيْت عن شىء فَدَعْه وخُذ ما أنت محتاجٌ إليه

فتَبسّم المهدىُّ وقال لأبى العتاهية : أحسنت ! فقام أبو العتاهية ثم قال : والله

(١) رواية هذا العجز فى بعض أصول الأغانى :
* علت به ذروة أعواده *
(٢) فى بعض أصول الأغانى : « فى محفل » .
(٣) الصغر : الضيم والذل .

يا أمير المؤمنين ما رأيتُ أحداً أشدَّ إكراماً للدُّنيا ولا أصونَ لها ولا أَضَنَّ بها ولا أشحَّ عليها من هذا الذى جُرَّ برجله الساعةَ ، ولقد دخلتُ على أمير المؤمنين إذ دخل ، وهو أعز الناس ، فما برحتُ حتى رأيتُه أذلَّ الناس ، ولو رَضى من الدُّنيا بما يَكفيه لاستوتْ أحوالُه ولم تتفاوت . فتبسّم المهدىُّ ودعا بأبى عُبيد الله ورضى عنه . فكان أبو عُبيد الله يشكُر ذلك لأبى العتاهية .

تعقيب لابن واصل عن أبى عبيد الله وموته

قلت : كان أبو عُبيد الله وزيرَ المهدىّ فى أيام أبيه أبى جَعفر المنصور ، فلما أفضت إليه الخلافةُ غَلب عليه وصارت الأُمور كلها إليه ، ثم تغيَّرت أحوالُه عنده وأستوزر يعقوب بن داود بن طهمان ، الذى تقدّم ذكره فى أخبار هشام ، ثم غَضب عليه المهدىُّ وأودعه المُطْبَق . فلم يزل فيه لا يُفرِّق بين الليل والنهار حتى انقضت أيّام المهدىّ وأيّام موسى الهادى وصدراً من خلافة هارون الرشيد ، فأخرجه وأطلقه ، فتوجّه إلى مكة فأقام بها حتى مات .

تفضيل ابن مناذر له

وحكى مَسعود بن بِشر المازنىّ قال :

لقيتُ ابن مُناذر بمكة فقلت له : من أشعر أهل الإسلام ؟ قال : من إذا شئتَ هَزل ، وإذا شئتَ جدّ . قلت : من ؟ قال : مثل جرير حيث يقول فى النَّسيب :

إنّ الذين غَدَوْا بلُبِّك غادَرُوا ... وشَلاً بعَينك لا يزال مَعينَا
غَيَّضْن من عَبراتهنّ وقُلْن لى ... ماذا لَقِيتَ من الهَوى ولَقينا

ثم قال حين جَدّ :

إنّ الذى حَرم المكارمَ تَغْلِباً ... جَعل النُّبوةَ والخلافةَ فينا
مُضَرٌ أَبى وأبو المُلوك فهل لكم ... يا خُزْرَ(١) تَغْلِبَ من أَبٍ كأَبينا
هذا ابنُ عمِّى فى دِمَشْق خليفةٌ ... لو شئتُ ساقكمُ إلىّ(٢) قَطِينا

(١) فى بعض أصول الأغانى : « يا آل » مكان « يا خزر » .
(٢) القطين : الخدم والأتباع .

ومن المُحدَثين هـذا الخبيثُ الذى يتناول شـعرَه من كُمِّه . فقلت : من ؟ قال : أبو العتاهية . قلت : فبماذا ؟ قال : فى قوله :

اللهُ بينى و بين مَـــوْلاتى ... أبدتْ لنـا الصَّـــدَّ والمَلالاتِ
لا تَغفِرُ الذَّنب إن أسأتُ ولا ... تَقبـــل عُذْرى ولا مُواتاتى
منحتُهـــا مُهجتى وخَالصتى ... فـكان هِجْرانُهـا مُكافاتى
أقلقنى حُبُّهـا وصَـــيَّرنى ... أُحـدوثةً فى جميع[1] حالاتى

ثم قال حين جَدّ :

ومَهْمَهٍ قد قطعتُ[2] طامِسَـه ... قَفْرٍ على الهَوْل والمُحـاماةِ
بحُـرَّةٍ جَسْرة عُـــذافرة ... خَوْصـاء عَـيْرانةٍ[3] لَنْـداة
تُبـــادر الشَّمسَ كلما طَلعتْ ... بالسَّـير تبغى بذاك مَرْضاتى
يا ناقُ خُبِّي بنا ولا تَعِـــدِى ... نَفْسَـــك ممّا ترَيْن راحات
حتى تُنـاخَىْ بنـا إلى مَلِكٍ ... تَوَّجَـــه الله بالمَهـــابات
عليـــه تاجان فوق مَفْرِقه ... تاجُ جَـلالٍ وتاجُ[4] إخْبـات
يَقُول للـرِّيح كلما عَصفتْ ... هل لكِ يا ريحُ فى مُبـاراتى
مَنْ مِثْـلُ مَنْ عَمُّه الرسولُ ومَنْ ... أخوالُه أكرَمُ الخؤُولات

تمثل الفضل بشعره له

وقيل :

كانت مَرتبةُ أبى العتاهية مع مَرتبة الفضل بن الرَّبيع فى موضع واحد فى دار

---

(١) فى بعض أصول الأغانى : « جاراتى » مكان « حالا تى » .

(٢) الطامس : البعيد الذى لا مسلك فيه .

(٣) الحرة : الناقة العتيقة . والجسرة : العظيمة . والعذافرة : الشديدة . والخوصاء : الضيقة العينين . والعيرانة : النشيطة . والعلنداة : الطويلة .

(٤) الإخبات : الخضوع .

المأمون ، فقال الفضلُ لأبى العتاهية : يا أبا إسحاق ، ما أحسنَ بيتين لك وأصدقَهما ! قال : وما هما ؟ قال : قولُك :

ما الناسُ إلّا للكثير المال أو ... لمُسلَّطٍ ما زال فى سُلْطانِه
فإذا الزمانُ رَماهما[1] بمُلمّةٍ ... كان الثِّقاتُ هناك من أعوانه

يعنى : من أعوان الزمان . وإنما تمثّل الفضلُ بن الرَّبيع بهذين البيتين لانحطاط مَرتبته فى دار المأمون . وكان المأمون أمر بذلك لتحبيذه العداوة له مع أخيه محمد الأمين .

تنسك فحبسه الرشيد ثم أطلقه

وحكى محمد بن أبى العتاهية قال :

كان أبي لا يُفارق الرَّشيد فى سفر ولا حَضر إلا فى طريق الحجّ ، وكان يُجرى عليه فى كل سنة خَمسين ألف درهم سوى الجوائز والمَعاوِن . فلما قَدم الرَّشيد الرقّةَ لَبِس أَبِي الصوفَ وتزهّد وترَك حُضور المُنادمة والقَولَ فى الغزل . فأمر الرشيدُ بحَبْسه ، فحُبس . فكتب إليه من مَحْبِسه :

أنا اليومَ لى والحمدُ لله أشهرُ ... يَرُوح علىّ الهمُّ منكم و يَبْكُرُ
تَذَكَّرْ أمينَ الله حقّى وحُرْمَتى ... وما كنتَ تُولينى[2] كذلك يُذكر
ليالىَ تُدنى منك بالقُرب مَجْلسى ... ووجهُك من ماء البَشاشة يَقْطُر
فمَن لىَ بالعَيْن التى كُنتَ مرةً ... إلىَّ بها ـ نَفْسى فِداؤك ـ تَنْظُر

قال : فلمّا قرأ الرشيدُ الأبياتَ قال : قُولوا له : لا بأس عليك . فكَتب إليه :

أرِقْتُ وطار عن عَيْنى النُّعاسُ ... ونام الساهرون[3] ولم يُواسُوا

(١) فى بعض أصول الأغانى : « ببلية » مكان « بملمة » .
(٢) الرواية فى الديوان : « لعلك تذكر » .
(٣) فى بعض أصول الأغانى : « السامرون » .

أَمينَ الله أَمْنُك خيرُ[1] أمنٍ ... عليه من التُّقى فيه لِباس
تُساس من السَّماء بكُل برٍّ ... وأنت به تَسُوس كما تُساس
كأنَّ الخلق رُكّبَ فيه رُوح ... له جَسد وأنت عليه راس
أمينَ الله إنَّ الحَبْس بأسٌ ... وقد وَقَّعت[2] : ليس عليك باس

فأمر بإطلاقه .

إجازة الرشيد والفضل له

وقيل :

ورد على الرَّشيد مالٌ عظيم من جهة المَوصل ، فأَمر بصَرفه أجمع إلى بعض جَواريه ، واستعظم الناسُ ذلك وتحدّثوا به . فرُئى أبو العتاهية وقد أَخذه شبهُ الجنون . فقيل له : مالك ؟ ويلك ! قال : سبحان الله ! أيُدفع هذا المالُ الجليل إلى امرأة ولا يتعلّق بكفّى منه شىء ! ثم دخل على الرشيد بعد أيام وأنشده :

الله هوَّن عندك الدُّنيا وبَغَّضها إليكا
فأبيتَ إلّا أن تُصغِّر كلَّ شىء فى يَديْكا
ما هانت الدُّنيا على أحد كما هانت عَليكا

فقال الفضلُ بن الرَّبيع : يا أمير المؤمنين ، ما مُدحت الخلفاء بأصدقَ من هذا المَدح . فقال : يا فضل ، أَعطه عشرين ألف درهم . فغدا أبو العتاهية على الفَضل فأنشده :

إذا ما كنتَ متَّخذاً خَليلاً ... فمثلَ الفَضل فاتَّخذ الخَليلا
يَرى الشُّكر القليل له عَظيماً ... ويُعطى من مَواهبه الجَليلا
أرانى حيثما يمَّمتُ طَرْفى ... وجدتُ على مكارمه دَليلا

(١) الرواية فى بعض الأصول : « أمرك خير أمر » .
(٢) فى بعض الأصول : « وقد أرسلت » .

فقال له الفضل : والله لولا أنى أكره أن أساوى أمير المؤمنين لأعطيتُك مثلَها ، ولـكنّى سأُوصلها إليك فى دَفَعات . ثم أعطاه ما أمر له به الرَّشيد وزاده خمسة آلاف درهم من عنده .

حبس الرشيد له لامتناعه عن قول الغزل ثم إطلاقه إياه

وذُكر أنّ أبا العتاهية كتب إلى الرشيد لمّا حَبسه لامتناعه من قول الغَزل، وكان قد لَبِس كساءَ صُوف ودُرّاعة صُوف :

يا بْنَ عَمّ النَّبىّ سمعاً وطاعَـهْ قد خَلعْنَا الـكساءَ والدُّرّاعَـهْ
ورَجعنا إلى الصِّناعـــة لمّا كان سُخْط الإمام تَرْك الصِّناعه

وقيل : لم يزل الرَّشيدُ مُتوانياً فى إخراجه إلى أن قال :

لأَمرٍ مَا تصَرَّفتِ اللَّيـالى وأَمرٍ ما تقَلَّبت النُّجـومُ
تموت غداً وأنت قَريرُ عَيْنٍ من الغَفَلات فى لُجَج تَعُوم
تَنام ولم تَنَم عنك المَنـايا تنبَّه للمنيّـــة يا نؤُوم
سَلِ الأيام عن أُمم تقَضَّت ستُخبرك المَعالم والرُّســوم
تَروم الخُلْد فى دار المَنايا وكم قد رام قبلك[1] ما تَروم
ألا يأيُّهـا الملك المُرجَّى عليه نواهضُ الدُّنيا تَحوم
أَقِلْنى زَلَّةً لم أَجْرِ فيهـا إلى لومٍ وما مثـلى مَلُوم
وخَلِّصْنى تُخَلَّص يومَ بَعْثٍ إذا للنّاسُ بُرِّزت الجَحِيم

فرقّ له وأمر بإطلاقه .

هو وابن أبى الأبيض وأبو نواس

وحكى ابنُ أبى الأَبيض قال :

أتيتُ أبا العتاهية فقلت له : إنى رجل أقول الشعر فى الزُّهد ، ولى فيه أشعار كثيرة ، وهو مَذهبٌ أرجو ألّا آثم فيه ، وقد سمعتُ شعرك فى هـذا المَعنى

(١) فى بعض الأصول : « غيرك » مكان « قبلك » .

وأحببتُ أن أستزيد منه ، فأُحب أن تُنشدنى من جيّد ما قلتَ . فقال : أعلم أن أكثر ما قُلتَه ردىء . قلت : وكيف ! قال : لأن الشّعر ينبغى أن يكون مثل أشعار الفُحول المتقدّمين ، أو مثلَ شعر بشار أو ابن هرمة ، فإن لم يكن كذلك فالصَّواب لقائله أن تكون ألفاظُه مالا تَخفى على جُمهور الناس مثل شعرى ، ولا سيما الأشعارُ التى فى الزُّهد ، فإنّ الزُّهد ليس من مَذاهب المُلوك ولا من مَذاهب رُواة الشعر وطُلاّب الغَريب ، وهو مَذهبٌ أشغفُ الناس به الزُّهاد وأصحابُ الحديث والفُقهاء وأصحاب الرأى[1] والعامّة ، فأعجبُ الأشياء إليهم ما فَهموه . فقلتُ : صدقتَ . ثم أنشدنى قصيدتَه التى يقول فيها :

لِدُوا للموت وابنُوا للخَرابِ ... فكلّكمُ يَصِير إلى[2] ذَهابِ
ألا يا مـوتُ لم أر منك بُدًّا ... أتيتَ وما تَخاف[3] وما تُحابى
كأنّك قد هَجمتَ على مَشِيبى ... كما هجم المَشيبُ على شَبابى

قال : فصرتُ إلى أبى نُواس فأعلمتُه ما دار بيننا . فقال : والله ما أحسب فى شعره[4] بعد ما أنشدك بيتاً آخر . فصرتُ إليه فأخبرتُه بقول أبى نواس . فأنشدنى قصيدتَه التى يقول فيها :

طُول التّعاشُر بين الناس مَمْلولُ ... مالابن آدمَ إن كَشَّفت[5] مَعْقُولُ
يا راعىَ النَّفس لا تُغفلِ رعايتها ... فأنت عن كُل ماأُستُرعيت مَسْئول
إنّى لفى منْزلٍ ما زلتُ أعمُره ... على يَقينٍ بأنّى عنـــه مَنْقول
وليس من مَوْضع يأتيه ذو نَفَسٍ ... إلّا وللموت سيفٌ فيـــه مَسْلول

(١) فى بعض الأصول : « الرياء » .
(٢) فى بعض الأصول : « تباب » ، وهو الهلاك .
(٣) فى بعض الأصول : « وما تخاف » .
(٤) فى بعض الأصول : « مثل ما » مكان « بعد ما » .
(٥) فى بعض الأصول والديوان : « فتشت » مكان « كشفت » .

لم يُشغَل الموتُ عنّا مُذْ أُعِــدّ لنا ... وكُلّنا عنــه باللّذات مَشْغول
ومن يَمُت فهو مَقْطوع ومُجْتَنَبٌ ... والحيُّ ما عاش مَغْشِيٌّ ومَوْصول
كُلْ ما بدالك فالآجالُ فانيةٌ ... وكُلُّ ذِى أُكُل لابُدّ مأكول

ثم أنشدنى عِدّة قصائد، ما هى بدون هذه . فصرتُ إلى أبى نُواس فأخبرتُه. فتغيّر لونُه، وقال : لم خَبَّرته بما قلتُ ! قد والله أجاد ! ولم يقُل فيه سُوءاً .

هو والمهدى وقد ماتت له بنت

وحَكى أبو العتاهية قال :

ماتت بنتٌ للمهدىّ فحزن عليها حُزناً شديداً حتى امتنع من الطعــام . فقلت أبياتاً أعزّيه فيها ، فوافيتُه وقد سَــلا وضَحِك وأكل وهو يقول : لا بُدَّ من الصَّبر على مالا بُدَّ منه ، ولئن سلَوْنا عمن فقدناه ليسلُوُنّ عنّا من يَفْقدنا ، وما يأتى الليلُ والنهار على شىء إلا أبلياه . فلما سمعتُ هذا منه ، قلت : يا أمير المؤمنين ، أتأذن لى أن أُنشدك ؟ قال : هات . فأنشدتُه :

ما للْجَديدَيْن لا يَبْلَى اختلافُهما ... وكُلُّ غَضٍّ جــديدٍ فيهما بالِى
يا مَن سَلا عن حَبيبٍ بعد مِيتته ... كم بعد موتِك أيضاً من فتًى سالِى
كأنّ كُلَّ نَعيم أنت ذائقُــه ... من لذّة العيش يَحكى لُمْعَةَ الآلِ
لا تَلعبنَّ بك الدُّنيا وأنت تَرى ... ما شئتَ من عِــبَرٍ فيها وأمثال
ما حيــلة المَرء إلا كُلّ صالحة ... أو لاَ فما حيــلةٌ فيه لمُحْتال

فقال لى : أحسنت ! ويحك ! وأصبتَ ما فى نفسى ووعظتَ فأوجزت ! ثم أمر لى لكُل بيت بألفِ درهم .

شعر له فى سلم سمعه المأمون

وقيل :

أُنشد المأمون بيتَىْ[1] أبى العتاهية يُخاطب سَلْماً الخاسر :

(١) فى بعض أصول الأغانى : « بيت » بالإفراد . ولم يرد فيها غير الأول من البيتين .

تعالَى الله يا سَلْمَ بن عمرٍو أذلَّ الحِرصُ أعناقَ الرِّجالِ
هَبِ الدُّنيا تُساق إليك جَمْعاً أليس مَصيرُ ذاك إلى زَوال

فقال المأمون : إنّ الحِرص لَمَفْسدةٌ للدِّين والمُروءة ، والله ما عرفتُ مِن رجلٍ قطُّ حِرْصاً ولا شَرَهاً فرأيتُ فيه مُصْطنعاً . فبلغ ذلك سَلْماً ، فقال : ويلى على المخنَّث الخزّاف الزِّنديق ! جَمع الأَموال فكَنزها ، وعبّأ[1] البِدَر فى بيته ، ثم تزهّد مُراآةً ونِفاقاً ، وأخذ يهتف بى إذا أنا تصدَّيت للطَّلب .

هو والجمّاز فى حضرة قُثَم

وحكى بعضُهم قال :

كنت عند قُثَمَ بن جَعفر بن سُليمان ، وعنده أبو العتاهية يُنشده فى الزُّهد ، فقال : اطلُب الساعة الجمّازَ حيث كان ، ولك عندى ما شئتَ . فطلبتُه فوجدتُه عند رُكن دار جعفر بن سُليمان ، فقلت : أَجِب الأَمير . فقام حتى أَتى قُثَم ، وجلس فى ناحية مجلسه ، وأبو العتاهية يُنشده . فأنشأ الجمّاز يقول :

ما أقبَح التَّزْهيدَ من واعظٍ يُزهِّد الناسَ ولا يَزْهَدُ
لو كان فى تَزْهيده صادقاً أضحى وأمسى بيتُه المسجد
يخاف أن تَنفَد أرزاقُه والرِّزق عند الله لا يَنفَد
والرِّزقُ مَقْسوم على مَن تَرى ينالُه الأَبيض والأَسود

فالتفت أبو العتاهية وقال : مَن هذا ؟ قالوا : هذا الجمّاز ، وهو ابن أخت سَلْم الخاسر ، اقتصّ لخاله منك . فأقبل عليه وقال : يا بن أخى ! إنى لم أذهب حيث ظننتَ ولا حيثُ ظنّ خالُك ، ولا أردت أن أهتِف به ، وإنما خاطبتُه كما يُخاطب الرَّجل صديقَه ، والله يغفر لكما . ثم قام وخَرج .

(١) البدر : جمع بدرة . وهى كيس فيه ألف ، أو عشرة آلاف درهم .

أهدى الفضل نعلا فأهداها للأمين فجازاه

وقيل :

لما دخل عَوْنٌ، حاجب الفَضل بن الرَّبيع، على الفَضل، وقد عَزم على الرُّكوب إلى محمد بن زُبيدة الأمين، فقال : هذا أبو العتاهية يُسلِّم عليك وقد قَدِم من مكة. فقال : أَعْفنى منه، فالساعةَ يشغلنى عن ركوبى. فخرَج إليه عَون فقال : إنه على الرُّكوب إلى أمير المؤمنين. فأخرج من كُمه نعلاً على شِراكها كتابٌ. فأمر بقراءته، فإذا هو :

نعــلٌ بعثتُ بهــا لتَلْبسها ... قَدَمٌ[1] بها تَمشى إلى المَجْــدِ

لو كان يَصْلُح[2] أن أُشَرِّكَها ... خَدِّى جعلتُ شِراكها خدِّى

فقال لحاجبــه عَوْن : أَحْمِلها معنا. فلمَّا دخل بها على الأمين، قال له : يا عبَّاسىّ، ما هذه النَّعل ؟ قال : أهداها إلىّ أبو العتاهيــة وكَتب عليها بيتين، وكان أمير المؤمنين أولى بلبسها لِمَــا وُصف به لابُسها. فقــال : وما هما ؟ فقرأها عليه. فقــال : أجاد والله ! ما سَبقه إلى هــذا المعنى أحد، هَبُوا له عشرة آلاف درهم. فأُخرجت إليه فى بَدْرة وهو راكبٌ على حِماره. فقبَضها وانصرف.

شعره إلى ابن المعتمر فى حبسه

وقيل : كتب بكر بن المُعتَمِر إلى أبى العتاهية يشكو إليــه ضِيق القَيْد وغَمّ الحَبْس، فكتب إليه أبو العتاهية :

هى الأيّام والغِــيَرُ ... وأمْر الله[3] مُنْتَظَرُ

أتيأسُ أن ترى فرجاً ... فأين اللهُ والقَــدَر

هو وأعرابى مر به فى الحج

وقيل :

حَج أبو العتاهيــة فرأى أعرابيًّا فى ظِلّ مِيل[4] وعليــه شَملةٌ، إذا غَطَّى

(١) فى بعض الأصول : « قرم » وهو السيد.

(٢) أشركها : أجعل لها شراكا.

(٣) فى بعض الأصول : « والعبر ... ينتظر » مكان « والغير .... منتظر ».

(٤) الميل : منار يبنى للمسافرين فى مرتفع من الأرض.

بها رأسه بَدتْ رجلاه ، و إذا غَطَّى بها رجلَيْه بدا رأسُه . فقال : مِن أين معاشُكم ؟ فقال : منكم معشر الحاجّ ، تمرُّون بنا فنَنال من فُضولكم ، وتَنْصرفون فيكون ذلك . فقال له : إنما نَمُرّ ونَنْصرف فى وقت من السنة ، فمن أين معاشُكم فى سائر السَّنة ؟ فقال الأعرابىّ : لا أدرى ما أقول ، إلا أنّا نُرزق من حيث لا نَحْتسب أكثرَ مما نُرزق من حيث نَحتسب . فولَّى أبو العتاهية وهو يقول :

ألا يا طالبَ الدُّنيا دَعِ الدُّنيا لشانِيكَ
وما تَصْنع بالدُّنيـا وظِلُّ المِيل يَكْفيك

إعجابه بشعر ابن أبى أمية

وقيل :

حَضر أبو العتاهية عند جعفر بن يَحيى بن خالد بن بَرمك ، فقال لجعفر : جعلنى الله فِداك ! معكم شاعر يُعرف بابن أبى أُمَيـة ، أُحب أن أَسمعه يُنشد . فقال له جعفر : هو أقرب الناس منك . فأَقبل أبو العتاهية على محمد بن أبى أُمية ، وكان إلى جانبه ، وسأله أن يُنشده . فأَنشده لنفسه :

رُبَّ وعدٍ منك لا أَنساه لى أَوْجب الشُّكرَ و إن لم تَفْعَلِ
أَقطع الدَّهرَ بوعدٍ حَسَنٍ وأُجلِّى غمـرةً ما تَنْجلى
كلّما أمّلتُ يوماً صالحاً عَرض المَكروه لى[1] فى أَملى
وأرى الأَيّام لا تُدْنى الذى أَرتجى منك وتُدنى أَجلى

فأَقبل أبو العتاهية يردِّد البيت الأَخير و يقبِّل رأس ابن أبى أُمية ، وقال : وَدِدْتُ والله أنه لى بكثيرٍ من شِعْرى .

بنتاه و إباؤه تزويج إحداهما لابن المهدى

وقيل :

كان لأبى العتاهة بنتان ، اسم إحداهما « لله » والأُخرى « بالله » . فخَطب

(١) فى بعض الأصول : « دون الأمل » مكان « لى فى أملى » .

مَنْصور بن المهدىّ « لله » ، فلم يزوّجه ، وقال : إنما طَلبها لأنها بِنْت أبى العتاهية ، وكأني بها قد مَلّها ، فلم يكن لى إلى الانتصاف منه سَبيل ، وما كنت أُزوِّجها إلّا ببائع خَزف وجِرَار ، ولكنّى أختاره لها مُوسراً .

ابنه محمد

وكان لأبى العتاهية ابنٌ يقال له : محمد ، وكان شاعراً ، وهو القائل :

قد أفلح السالمُ الصَّموتْ ... كلامُ راعِى الكلام قُوتُ
ما كل نُطْقٍ له جوابٌ ... جوابُ مايُكْره السُّكوت
ياعَجباً لامرىء ظَلومٍ ... مُسْتَيقنٍ أنّه يَموت

استنشده ابن الحسن الكاتب

وحكى عبد الله بن الحَسن بن سَهل الكاتب قال :

قلت لأبى العتاهية : أَنْشدني من شعرك ما تَستحسن . فأنشدنى :

ما أَسْرعَ الأيامَ فى الشَّهرِ ... وأَسرعَ الأشْهُرَ فى العُمْرِ
ليس لِما ليستْ له حيلةٌ ... موجودةٌ خيرٌ من الصَّبر
فاخْطُ مع الدَّهر إذا ما خَطا ... واجْرِ مع الدَّهر كما يَجْرى
مَن سابَق الدَّهر كبا كَبْوَةً ... لم يَسْتَقِلْها آخرَ العُمر

أنشد الفضل فى البرامكة فتغير له

وذكر أبو العتاهية قال :

ما زال الفضلُ بن الرَّبيع من أَميل الناس إلىّ ، فلما رجَع من خُراسان بعد موت الرشيد دخلتُ إليه ، فاُستنشدنى فأنشدته :

أفنيتَ عُمرك إدباراً وإقبالا ... تَبْغى البَنين وتَبْغى الأهلَ والمَالا
الموتُ هولٌ فكُن ما عِشْتَ مُلتمساً ... مِن هوله حِيلةً إن كنتَ مُحْتالا
ألم ترَ المَلِك الأَمْسِىَّ حين مَضى ... هل نالَ حىٌّ من الدُّنيا كما نَالا
أغناه مَن لم يزل يُغنى القُرون فقد ... أَضحى فأَصبح عنه المُلك قد زالا
كم مِن مُلوكٍ مَضى رَيْبُ الزَّمان بهم ... قد أَصبحوا عِبَراً فينا وآمالا

فاستحسنها وقال : أنت تعرف شغلي ، فعُد إليّ وقت فراغي أقعد معك وآنس بك . فلم أزل أراقب أيامه حتى كان يومُ فراغه ، فصرتُ إليه ، فبينا هو مُقبل عليّ يستنشدني فأنشده ، ويسألني فأحدثه ، إذ أنشدتُه :

ولّى الشَّبابُ فما له من حِيلةٍ وكسا ذُؤَابتيَ المَشيبُ خِمارا

أين البرامكةُ الذين عَهِدْتُهم بالأمس أعظمَ أهلها أخطارا

فلما سمع ذكر البرامكة تغيَّر لونُه ورأيت الكراهية في وجهه . فما رأيتُ منه خَيْراً بعد ذلك .

وكان أبو العتاهية يحدِّث بهذا الحديث أبا محمد بن سَهل ، فقال له : لئن كان ذلك ضرَّك عند الفضل بن الرَّبيع لقد نَفعك عندنا . ثم أمر له بعشرة آلاف درهم وعَشرة أثواب ، وأجرى له كلّ شهر ثلاثة آلاف درهم . فلم يزل يَقْبضها دارَّةً حتى مات .

تعقيب لابن واصل عن الفضل بن الربيع

قلت :

وكان الفَضل بن الرَّبيع عدوًّا للبرامكه بسبب تقدُّمهم عليه واستيلائهم على الرشيد ، وما زالَ يضرب عليهم عند الرشيد ، ويَسعى في إفساد أمرهم . فلما أوقع بهم الرشيدُ ، وقَتل جعفر بن يحيى ، استقلّ الفضلُ بأمر الرشيد في آخر أيامه . ثم قام بأمر محمد بن الأمين وأفسد بينه وبين أخيه المأمون . فلما ظهر المأمون استَخْفى الفضل ، ثم أمّنه المأمون ، وكان عنده نازلَ الرُّتبة .

مع داعية عيسى بن زيد في السجن

وحكى أبو العتاهية قال :

حَبسني الرشيدُ لما تركتُ قولَ الشعر ، فأُدخلت السجن وأُغلق الباب عليّ . فدَهِشت كما يَدْهش غيري لتلك الحال ، فإذا أنا برجل جالسٍ في جانب الحَبْس ، فجعلت أنظر إليه ساعةً وهو ينظر إليّ ، ثم تمثّل :

تعوَّدتُ مَسَّ الضُّرِّ حتى أَلِفْتُه وأَسلمنى حُسن العَزاء إلى الصَّبْرِ
وصيَّرنى يأسى من النـاس راجياً لُحسن صَنيع الله من حيثُ لا أَدرى

فقلت له : أَعد ، أعزَّك الله ، هذين البيتين . فقال لى : و يلك يا أبا العتاهية ! ما أسوأ أدَبك ، وأقلَّ عقلك ! دخلتَ علىّ الحبس فما سلَّمت تسليم المُسْلِم على المسْلم، ولا سألت مسألة الُحر للحُرّ ، ولا توجَّعت توجُّع المُبتلَى للمبتلى ، حتى إذا سمعتَ بيتين من الشّعر ، الذى لا فَضل فيك غيرُه ، لم تَصبر عن اُستعادتهما ، ولم تُقدِّم قبل مسألتك عنهما عُذْراً فى طلبهما . فقلت : يا أخى ، إنّى دَهِشْت لهذه الحال، فلا تَعْذُلنى واُعذِرنى متفضِّلاً بذلك . فقال : أنا والله أَولى بالدَّهش والحَيْرة ، لأنك حُبِست فى أن تقول شعراً به ارتفعتَ و بلغت ، فإذا قلتَ أُمِّنت ، وأنا مأخوذ بأن أَدُل على ٱبن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ليُقتل أو أُقتل دونه ، والله لا أدُل عليه أبداً ، والساعةَ يُدْعى بى فأُقْتل ، فأيُّنا أحقُّ بالدَّهش ! فقلت : أنت والله ! سلَّمك الله وكفاك ! ولو علمتُ أن هذه حالك ما سألتُك . فقال : فلا نَبخل عليك إذن . ثم أعاد البَيتين حتى حفظتُهما . قال . فسألتُه : من هو ؟ فقال : أنا داعيةُ عيسى بن زيد واُبنِه أَحمد . ولم نَلْبث أن سمعنا صوتَ الأقفال . فقام فسكب عليه ماءً كان عنده فى جَرّة ، ولَبِس ثو باً نَظيفاً . ودخل الحَرسُ والجُند ومعهم الشَّمع فأخرجونا جميعاً ، وقُدِّم إلى الرشيد قَبلى ، فسأله عن أحمد ابن عيسى ، فقال : لا تسألنى عنه واُصنَع ما أنت صانع ، فلو أنه تحت ثَوبى هذا ما كشفتُه عنه . فأَمر بضرب عُنقـه . ثم قال : أظنّك قد اُرْتعت ياإسماعيل ؟ فقلت : دون ما رأيتُه تَسيل النُّفوس منه . فقال : ردُّوه إلى مَحْبسِه . فرُدِدْت واُنتحلت البيتين، وزدتُ فيهما :

إذا أنا لم أَقبل من الدَّهر كُلَّ ما تكرَّهتُ منه طال عَتبى على الدَّهْرِ

تمثل المعتصم ببيتين له

وقيل :

لما أحسّ المُعتصم بالله أبو إسحاق بن الرَّشيد بالموت ، قال لابنه الواثق : ذهب والله أبوك يا هارون ! لله دَرُّ أبى العتاهية حيث يقول :

الموتُ بين الخَلْق مُشْتَرَكٌ ... لا سُوقةٌ يبقَى ولا مَلِكُ
ما ضَرّ أصحابُ القَليل وما ... أغْنَى عن الأملاك ما مَلَكوا

فضله أبو تمام بخمسة أبيات

وقيل :

قال أبو تمّام الطائى الشاعر : لأبى العتاهية خَمسة أبيات ما يَشْركه فيها أحد ، ولا قَدر على مثلها مُتقدِّم ولا متأخر ، وهى قولُه :

الناسُ فى غَفَلاتهم ... ورَحَى المنيّة تَطْحَنُ

وقوله فى موسى الهادى :

ولما اُستقلُّوا بأثقالهم ... وقد أزمعوا بالّذى أزْمَعُوا
قَرنتُ التفاتى بآثارهم ... وأتبعتُهم مُقلةً تَدْمع

وقوله لأحمد بن يوسف :

أَلم تر أنّ الفَقْر يُرْجى له الغِنَى ... وأنّ الغِنى يُخشى عليه من الفَقْرِ

وقوله :

هبِ الدُّنيا تَصير إليك عَفْواً ... أليس مَصير ذاك إلى زوالِ

عزاؤه لبغدادى فى أخيه

وقيل :

مات شيخ ببغداد ، فلما دُفن أقبل الناس على أخيه يُعزُّونه . فجاء أبو العتاهية إليه و به جزع شديد ، فعزّاه ثم أنشده :

لا تأمن الدَّهرَ وإلبس ... لكُلّ حين لِباسا
ليَدْفِننّا أُناسٌ ... كما دَفنّا أُناسا

فأُنصرف الناس وما حَفِظوا غير قول أبى العتاهية .

جائزة ابن مزيد له وقد أنشده

وقيل :

قال أبو العتاهية : دخلتُ على يزيد بن مَزْيد فأنشدتُه قصيدتى التى أقول فيها :

وما ذاك إلا أنّنى واثقٌ بما ... لدَيْكَ وأنّى عالمٌ بوفائِكا
كأنك فى صَدرى إذا جئتُ زائراً ... تُقَدِّر فيه حاجتى بابتدائكا
وإن أميرَ المُؤمنين وغيرَه ... لَيَعْلَمَ فى الهيجاء فضْلَ غَنائكا
كأنَّك عند الكَرِّ فى الحرْب إنما ... تَفِرُّ من السِّلم الذى من وَرائكا
فما آفةُ الأملاكِ غَيْرُك فى الوَغى ... ولا آفةُ الأموال غير حِبائكا

قال : فأعطانى عشرة آلاف دِرْهم ودابّة بسَرجها ولجامها .

راهب يعظ بشعره

وقيل :

مرَّ عابد براهب فى صَومعة ، فقال : عِظنى . فقال : أعظك وعليكم نَزل القُرآن، ونبيُّكم محمّد صلّى الله عليه وسلّم قريب العَهد بكم ! قلت : نعم . قال : فاتّعظْ ببيت من شعر شاعركم أبى العتاهية حيث يقول :

تجرَّدْ من الدُّنيا فإنك إنما ... وقعتَ إلى الدُّنيا وأنت مُجَرَّدُ

بينه وبين إبراهيم ابن المهدى وقد رماه بالزندقة

وقيل :

بلغ أبا العتاهية أن إبراهيم بن المهدىّ رماه فى مجلسه بالزَّندقة وذكَره بها ، فبَعث إليه يُعاتبه على لسان إسحاق بن إبراهيم المَوصلى ، فأدّى إليه إسحاق الرّسالة . فكَتب إليه إبراهيم أبياتاً منها :

إنّي رأيتُك مُظْهِراً لزَهادةٍ ... تحتاجُ منك لها إلى أشباهِ
ما الزُّهد من رجُل ألدَّ مُكذب ... بالبعث غير ضَلالةٍ وسِفاه

وأرى المقالة غيرَ صالحةٍ وإن ... أظهرت سَمْتَ الصَّالح الأوّاه
إن كان لُبْس الصُّوف حُجَّتك التى ... ترجو فدَعْه فإننى لك ناهى
مافى يَدَيْك من اللّباس إذا غوتْ ... منك السَّريرةُ غيرُ حَبل واهى
لا شىء يُقبَل منك إلا ما به ... حكمتْ عليك نواطقُ الأفواه
والأمر بعدُ عليك ويحك واسعٌ ... ما لم تكن يالاهياً باللّاهى

شعره الذى غنى فيه الملاحون الرشيد

وقيل :

كان الرَّشيد يعجبه غِناء المَلّاحين فى الزّلّالات[1] إذا ركبها ، وكان يتأذّى بفساد كلامهم ولَحْنهم . فقال : قُولوا لمن معنا من الشُّعراء يَعمل لهؤلاء شعراً يغنُّون فيه . فقيل له : ليس أحد أقدرَ على هذا من أبى العتاهية ، وهو فى الحبس . فوجّه إليه الرَّشيدُ : قُل شعراً حتَّى أسمعه منهم . قال أبو العتاهية : ولمْ يأمر بإطلاقى ، فغاظنى ذلك وقلت : والله لأقولنّ شعراً يَحزنه ولا يَسرُّه . فعملتُ فيه شعراً ودفعتُه إلى مَن حَفظه من المَلّاحين . فلما ركب سَمِعه ، وهو :

خانك الطَّرفُ الطَّموحُ ... أيُّها القلب الجَمُوحُ
لدَواعى الخَيْر والشَّرِّ ... دُنُوٌّ ونُزُوح
هل لمَطلوب بذَنبٍ ... تَوبةٌ منه نَصُوح
كيف إصلاحُ قُلوبٍ ... إنّما هُنّ قُروح
أحسنَ الله بنا أنّ ... الخطايا لا تَفُوح
فإذا المَستُور منّا ... بين ثَوْبيه نُضُوح
كم رأينا من عَزيزٍ ... طُويت عنه الكُشوح
صاحَ منه برَحيلٍ ... صائحُ الدَّهر الصَّدُوح

(١) الزلالات : نوع من السفن .

موتُ بعض النّـاس فى الأر ض على قـــوم فتُوح
سيَصير المـــرء يوماً جَسداً ما فيـــه رُوح
بين عينَىْ كُلِّ حىٍّ عَـــلَمُ المـــوت يلوح
كُلُّنا فى غفـــلةٍ والـ ـموتُ يغْـــدو ويَرُوح
لبنى الدُّنيـا من الدُّنْـ ـيا غَبوقٌ وصَـــبُوح
رُحْن فى الوَشْى وأَصبحـ ـن عليهنّ المُسُـــوح
كُلُّ نَطّاح من الدَّهـ ـر له يومٌ نَطُـوح
نُحْ على نَفْســك يا مِسْـ ـكينُ إن كُنت تَنوح
لتموتنَّ ولَوْ عُمِّـ ـرْتَ ما عُمِّـــر نُوح

فلما سَمعها الرشيدُ جعل يبكى ويَنتحب، وكان الرَّشيد من أَغزر الناس دموعاً فى وقت المَوعظة ، وأشـدّهم عَسْفاً فى وقت الغضب والغِلْظة . فلمـا رأى الفضلُ ابن الرَّبيع كثرةَ بُكائه أومأ إلى المَلّاحين أن يَسكتوا .

شعره حين عقد الرشيد ولاية العهد لأبنائه

وقيل :

لما عَقد الرشيدُ ولايةَ العهد بعده لمحمد الأمين ، وعبـد الله المأمون ، والقاسم المؤتمن ، قال أبو العتاهية :

رحلتُ عن الرَّبْع المُحيـل قَعودى إلى ذى زُحوفٍ[1] جَمَّـــة وجُنودِ
وراعٍ يُراعى الليـــلَ فى حِفظ أُمَّة يُدافع عنهـــا الشرَّ غـــيرِ رَقود
بأَلويةٍ جبريلُ يقـــدُم أهلَهـــا ورايات نصرٍ حـــولَه وبُنود
تَجافى عن الدُّنيـــا وأَيقن أنّهـا مُفـــارقةٌ ليست بدار خُلود
وشَـدَّ عُرى الإِســلام منــه بِفِتْية ثلاثةِ أملاكٍ وُلاة عُهـــود

(١) زحوف : جمع زحف ، وهو الجيش .

هُمُ خيرُ أولادٍ لهم خيرُ والدٍ ... له خيرُ آباءٍ مَضَت وجُدود
بنو المُصطفى هارونَ حولَ سَريره ... فخيرُ قيامٍ حولَه وقُعود
تُقلِّبُ ألحاظَ المَهابةِ بينهم ... عُيونُ ظِباءٍ فى قُلوب أُسود

فوصله الرَّشيد صلةً ما وصل بها شاعراً قطُّ .

تعقيب لابن واصل فى ولاة عهد الرشيد

قلت : إنَّ الرَّشيد جعل الأمر بعده لهؤلاء الثلاثة على التَّرتيب ، وقَسم الدُّنيا بينهم ، وأَخذ عليهم المَواثيق والعُهود ألّا ينكُثوا ولا يَنْقضوا ما عَقده . وأَنزل المأمون بخُراسان وضَمّ إليه جُنوداً كثيرة . فلما بُويع محمد الأمين بالخلافة أَغراه الفضلُ بن الرّبيع بنقض عهد المأمون وتَحويل العهد إلى أبنه مُوسى، ولقبه الناطق ، وسيَّر محمد الأمين عسكراً كبيراً لقتال أخيه المأمون ، وقَدّم عليهم عليَّ بن عيسى ابن ماهان . فسيّر المأمون للقاء عليٍّ طاهَر بن الحُسين ، فقُتل عليّ ، واحتوى طاهرٌ على عسكره . وبايعَ المأمونَ أهلُ خُراسان بالخلافة وخلعوا الأمين . فقدِم طاهرٌ العِراقَ وحاصَر الأمين حتى ظَفِر به وقَتله وبَعث برأسه إلى المأمون ، وصفت الدُّنيا للمأمون .

طلب ملك الروم له

وقيل :

قَدم رسولٌ لملك الرُّوم إلى الرشيد ، فسأَل عن أبى العتاهية ، فلقيه أبو العتاهية. فأنشده شيئاً من شعره ، وكان يُحسن العربيَّة ، فمَضى إلى بلاد الرُّوم وذَكره للملك . فكَتب ملك الرُّوم إلى الرَّشيد يسأله أن يوجِّه إليه بأبى العتاهية ويأخذَ فيه رهائن مَن أراد، وألحَّ فى ذلك . فكلّم الرَّشيد أبا العتاهية فى هذا . فاستعفى منه وأباه . واتصل بالرَّشيد أن ملك الرُّوم أمر أن يُكْتب بيتان من شعر أبى العتاهية على أبواب مجالسه وباب مدينته ، وهما :

ما اختلف الليلُ والنَّهار ولَا ... دارتْ نُجوم السَّماء فى الفَلَكِ
إلّا لنَقْل السُّلطان عن مَلِكٍ ... قد انْقضى مُلْكه إلى مَلِكِ

بينه وبين الرشيد بعد ما أطلقه

وقيل :

إنّ الرَّشيد لما أطلق أبا العتاهية من الحَبس لَزم بيْتَه وقَطع النَّاس عنه . فذكره الرشيدُ فعُرِّف خبرُه . فقال : قُولوا له : صِرْت زِيرَ نِساء وحِلْس[1] بيت . فكتب إليه أبو العتاهية :

بَرِمْتُ بالنَّاس وأخلاقهم ... فصِرْتُ أستأنسُ بالوَحْدهْ

ما أكثَرَ الناسَ لعَمْرى وما ... أقلَّهم فى حاصل[2] العِدّه

ثم قال : لا يَمْضى[3] شِعر إلى أمير المؤمنين ليس فيه مَدْح له . فقَرن هذين بأربعة أبيات مَدحه بها ، وهى :

عادَ لى من ذِكرها نَصَبُ ... فدُموع العَيْن تَنْسكبُ

وكذاك الحبُّ صاحبُه ... يَعْتريه الهمُّ والوَصَب

خيرُ ما يُرجَى ومن يَهَب ... مَلِكٌ دانتْ له العَرب

وحقيقٌ أن يُدانَ له ... مَن أبوه للنبىِّ أب

بينه وبين الرشيد وقد استوعظه

وقيل :

قال الرشيد لأبى العتاهية : عِظْنى . فقال له : أخافك . فقال : أنت آمن . فأنشده :

لا تَأْمنِ الموتَ فى طَرْفٍ ولا نَفَسِ ... إذا تَسَتَّرْتَ بالأبواب والحَرسِ

واعلم بأنّ سِهام المَوت قاصدةٌ ... لكُلِّ مُدَّرِعٍ منّا ومُتَّرِس

ترجو النَّجاة ولا تَسلُك[4] مسالكَها ... إنّ السَّفينة لا تَجرى على اليَبَس

---

(١) حلس بيت : أى ملازمه . وهو مما يذم به الرجل .

(٢) فى بعض أصول الأغانى : « فى منتهى » .

(٣) فى بعض أصول الأغانى : « لا ينبغى أن يمضى » .

(٤) فى بعض أصول الأغانى : « طريقها » مكان « مسالكها » .

فبكى الرشيدُ حتى بَلَّ كُمَّه .

سئل عند الموت عما يشتهيه فأجاب

وقيل لأبى العتاهية عند الموت : ما تشتهى ؟ قال : أشتهى أن يجىء مُخارق فيَضع فمَه على أُذنى فيُغنِّينى :

سَيُعْرَض عن ذكرى وتُنْسى مودَّتى ... ويَحدُث بعدى للخَليل خَليلُ
إذا ما انقضتْ عنِّى من الدَّهر مُدَّتى ... فإنَّ غَناء الباكيات قَليل

شعره فى مرضه الأخير

وقيل :

إن آخر شعر أبى العتاهية الذى قاله فى مرضه الذى مات فيه هو :

إلهى لا تُعذِّبنى فإنّى ... مُقِرٌّ بالذى قد كان منِّى
فمالى حيلةٌ إلّا رَجائى ... لِعَفْوك فاحطُط الأوزارَ[1] عنِّى
وكم من زَلَّةٍ لى فى الخطايا ... وأنت علىَّ ذو فَضْل ومَنِّ
إذا فكَّرتُ فى نَدمى عليها ... عَضِضْتُ أناملى وقَرَعتُ سنِّى
أُجَنّ بزَهرة الدنيا جُنوناً ... وأقطع طولَ عُمرى فى التمنِّى
ولو أنِّى صدقتُ الزُّهد عنها ... قلبتُ لأهلها ظَهر المِجنّ
يظنُّ النّاسُ بى خيراً وإنِّى ... لشرُّ النّاسِ إن لم تَعْف عنِّى

شعره الذى ندبته به ابنته

وقيل :

قال أبو العتاهية لابنته رُقيَّة فى علّته التى مات فيها : يا بُنية ، أرثى أباك وأندُبيه بهذين البيتين . فندبته بقوله :

لَعِبَ البِلَى بمَعالِمى ورُسومى ... وقَبِرتُ حيًّا تحت رَدْم هُمومِى
لَزم البِلَى جِسْمى فأوْهن قُوَّتى ... إنَّ البِلى لمُوَكّل بلُزومى

(١) رواية هذا الشطر فى بعض الأصول : « لعفوك إن عفوت وحسن ظنى » .

ما أمر أن يكتب به على قبره من شعره

وأمر أن يُكتب على قبره :

أُذْنٌ حىٌّ تَسمَّعى ... أُسمعى ثم عِى وعِى
أنا رهنٌ بمَضْجعى ... فاحذرُوا مثلَ[1] مَصْرعى
عِشْتُ[2] تسعين حِجَّةً ... أَسْـلمتْنى لمَضْجعى
كم تَرى الحقَّ ثابتاً ... فى دِيار[2] التَّزعزُع
ليس زادٌ سوى التُّقى ... فخُذى منـه أوْ دَعِى

رثاء ابنه له

ورثاه محمد ابنُه بقوله :

رَحم اللهُ مَصْرعكْ ... بَرَّد اللهُ مَضْجعكْ

أبياته التى فيها الغناء

والأبيات التى فيها الغناء، وافتتح بها أبو الفرج أخبارَ أبى العتاهية :

يا ويْح قَلْبى لو أنّه[3] أقْصَرْ ... ما كان عَيْش مما[4] أرى أكدَرْ
يا مَن عَـذيرى ممن كَلِفْتُ به ... يَشهـد قَلبى بأنه يَسْـحَر
يا ربَّ يومٍ رأيتُنى مَـرِحاً ... أخُوض[5] فى اللَّهو مُسبلَ المِئْزر
بين نَدامى تحُثُّ كأسَهم ... عليهمُ كفُّ شـادنٍ أحور

وقد أفرد أبو الفرج لأبى العتاهيـة أخباراً مع عُتبة صاحبته فأوردها فى موضع آخر .

---

(١) فى بعض أصول الأغانى : « فاحذرى » مكان « فاحذروا » .

(٢) الرواية فى بعض أصول الأغانى :

عشت تسعين حجة ... فى ديار التزعزع

(٣) أقصر : كف وانتهى .

(٤) فى بعض أصول الأغانى : « عيش كا » مكان « عيش مما » .

(٥) فى بعض الأصول : « آخذ » مكان « أخوض » .